الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشهيد حمّه لخضر- الوادي-

معهد الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنيّة

صُوره و تطوُّره حتّى نهاية القرن الرّابع الهجري

مذكرة مقدّمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

التّخصص: لسانيات عامّة

إعـــــداد :

- ✓ توفيق الوثري
- ✓ رمَضان زلومة

إشراف الأستاذ:

د. نصر الدّين وهابي

السنة الجامعية: 1440/1439هـ ** 2019/2018م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

" كن عالم، فإن لم تستطع فكن متعلما، فإن لم تستطع فأحب العلماء، فإن لم تستطع فلا تبغضهم ".

نحمد الله عز وجل الذي وفقنا لإنجاز هذا العمل بعد رحلة بحث و جهد واجتهاد و في هذا المقام أتقدم بأسمى عبارات الشكر و التقدير للدكتور"نصر الدّين وهابي" لما قدمه لنا من جهد و نصح و معرفة طيلة انجاز هذا البحث.

والشكر موصول إلى أستاذتنا الكرام الذين أشرفوا على تكويننا طيلة المسار الدراسي و الأستاذة القائمين على عمادة و إدارة كلية الآداب واللغات بجامعة (الوادي) حمّة لخضر .

وفي الأخير نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا و يسدد خطانا وأن ييسر لنا أمرنا .

آمين

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" إنّ هذا القُرآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ فَاقْرَؤُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ."

صحيح البخاري: كتاب فضائل القرآن، صفحة 993.

مقدمة

مقدَّمة :

الحمد لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، ثُم الصلاة و السَّلام على نبيّنا محمد ـ صلى الله عليه و سلم ـ سيَّد الأوَّلين و الآخِرين، و على آله و صحبه أجمعين إلى يوم الدِّين، و بعد:

فإنَّ مِن المَعلوم أنَّ شرف العِلم مِن شرف المعلوم، و لا أشرف مِن كتاب الله، ففضله على سائر الكُتب، كفضل الشَّمس على سائر الكواكب. و لهذا أخذ العلماء يدرسون القرآن و يُصنِّفون علومه الكثيرة، لعل من أهمها علم القراءات و الاحتجاج لها و يُعتبر هذا الأخير مِن أبرز الدراسات البينيَّة التي جمعت بين اللغة و القرآن.

و ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ اللغة العربية ـ لغة القرآن الكريم ـ بحر عميق ما له ساحل في مبناها و معناها حتى قيل قديماً: لا يُحيط باللغة إلا نبي. و أمَّا القراءات القرآنية فقد ارتبط ظهورها بنزول الوحي على الرسول ـ عليه أفضل الصلاة و أزكى السَّلام ـ لهذا كانت اللغة العربية و القراءات القرآنية متلازمين تلازمَ الشيء و ظله؛ لأنَّ المادة الأولية للقراءات هي اللغة.

وظلَّت القراءات بعد وفاة النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ تنتقل بالمشافهة مِن جيل إلى جيل، حتى جاء اليوم الذي بدأ يُطعنَ في صحَّتها، و أمست تُوصف بالضَّعف تارة و بالشذوذ تارة أخرى، و هُنا كان لابد مِن وضع شروط للقراءة الصَّحيحة، ومِن ثَمَّ الاحتجاج لها، و تبرئتها لغويًّا. و هذا هو محور البحث الذي وسَمْناه ب" الاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنية و تطوره في القرون _ الهجرية _ الأربعة الأولى " . و نروم مِن وراء دراسة هذا الموضوع الإجابة عن الإشكالية الآتية: ما هي أهم المراحل التي مرَّ بها الاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنية منذ بدايته و حتى آخر القرن الهجري الرَّابع؟ و للحصول على إجابة

عن تلك الإشكاليَّة كان لابد من الإجابة عن الإشكاليات التالية: ما المقصود بالقراءات القرآنية ؟ و ما هو تاريخ ظهورها ؟ و ماذا يُقصد بالاحتجاج اللغوي ؟ و متى بدأ ؟ و ما هي الصُّور التي بدأ فيها ؟ و ما هي الصُّور التي انتهى عليها ؟ و مَنْ هم أشهر النُّحاة الذين اشتُهِروا بالاحتجاج اللغوي في تلك الفترة المُعيَّنة؟ و هل كان منهجهم واحدا في الاحتجاج للقراءات؟

و سبب اختيار البحث هو تقديم نموذج جديد في دراسة موضوع الاحتجاج و تطوره حتى القرن الرَّابع، و بذلك يُضيف في خزانة البُحوث العلمية طريقة مُختلفة عمَّا اعتاده الآخرون في الاحتجاج، تكون مُفيدةً للبحوثِ العلميَّةِ اللَّاحقةِ.

و ككل بحث لابد مِن وضع خطَّة مسبقا، و هذا البحث ليس استثناءا لذلك، فقد اعتمد على خطَّة بدايتها هذه المُقدمة، يعقبها تمهيد احتوى أهم المفاهيم المُتعلقة بالموضوع، مع التركيز على مصطلحي القراءات، و الاحتجاج مِن حيث النشأة، و طرق التأليف فيهما.

كما اشتمل البحث على فصلين اثنين: الأول بعنوان " الاحتجاج للقراءات القرآنية قبل التَّسْبيع " و انقسم إلى مبحثين: الأول وُسِمَ ب " الاحتجاج للقراءات القرآنية قبل فترة اللَّحن " ، و اهتم بالحديث عن جمع القرآن من قبل عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ و نزول القرآن بلغة قريش و أثر ذلك على القراءات القرآنية. أمَّا المبحث الثاني فجاء بعُنوان " توجيه القراءات القرآنية في فترة اللَّحن " و ركَّز هذا الفصل على فترة ظهور اللحن، انطلاقا من مفهومه عند النُّحاة، و القُرَّاء، وأسبابه، و كيفية الحدِّ منه. و علاقة القراءات بالنَّحو قبل القرن الرَّابع. و فصل ثانٍ جاء بعنوان " الاحتجاج للقراءات القرآنية بعد التَسْبيع " ، اندرج تحته مبحثان: الأوّل، بعنوان: الاحتجاج للقراءات السَّبعيَّة و ذلك من خلال تسليط الضَّوء على جهود كل مِن ابن مُجاهد (ت 324 هـ) و أبي علي الفارسي (ت 377 هـ)،

و دورهما في الاحتجاج للقراءات القرآنية من خلال مُؤَلَّفيهما " السّبع في القراءات " و "الحُجَّة للقُرَّاء السبعة " على التوالي، و الثاني، بعنوان: الاحتجاج للقراءات غير السَّبعيَّة ، التي تجسَّدت في عمل ابن جني (ت 392 هـ) في كتابه " المُحْتَسب " . و أنهينا الموضوع بخاتمة أبرزنا فيها أهم النتائج التي توَّصل إليها البحث.

أمَّا المنهج المُنتقى للبحث فهو المنهج التاريخي و الوصفي . فالأول وظيفته تتبُّع مسار القراءات القرآنية و الاحتجاج لها منذ بدايتها ، و حتى أواخر القرن الرابع الهجري، و تبيين أهم المراحل التي مرَّ بها فن الاحتجاج. أمَّا الثاني فدوره استقراء، و استنباط أهم الصور و الخصائص التي تميَّزت بها كل مرحلة مِن مراحل التطور. و قد اعتمدنا آلية التَّحليل مِن خلال دراسة مؤَلَّفاتٍ ثلاث، هي: كتاب " السَّبعة في القراءات " لأبي بكر بن مُجاهد و كتاب " الحُجَّة للقُرَّاء السَّبعة " لأبي علي الفارسي، و كتاب " المُحْتَسب " لأبي الفتح عُثمان بن جني.

و بعد توفيق الله أولا، ثم البحث في الموضوع ثانيا، فإنَّنا لم نجد مَنْ جمع هذا الموضوع في بحث مستقل يجمع فيه ما تفرَّق منه في المصادرِ المُختلفة، و يفصل البيان فيه عرضاً و تحليلاً، إلا أنَّنا وقفنا على بعض البُحوث الجزئيَّة المُتفرِّقة التي تناولت موضوع الاحتجاج اللغوي من خلال تركيزها على مرحلة معيَّة، أو جُهد مُؤَلَّفٍ بعينه، و مِنْ هذه الدراسات :

ـ كتاب " القراءات الشاذة و توجيهها النَّحوي " لصاحبه محمود أحمد الصغير. فصَّل فيه الكلام على القراءات الشاذة و خاصَّة جهود ابن جني، لكنه أهمل صنيع ابن مُجاهد، و أبي علي الفارسي و دورهما في حلقة الاحتجاج للقراءات القرآنية. و المؤلِّف غير مُلامٍ في ذلك لأنه منذ البداية حددَّ عنوان الكتاب، و حصره في الاحتجاج للقراءات الشَّاذَّة دُون غيرها مِن

القراءات

ـ و كذلك الموسوعة التي أَلَّفَها إبراهيم عبد الله رفيْدَه بعُنوان " النحو و كتب التفسير " تجاوزت عدد صفحاتها ألف و أربعمائة صفحة، و مع العلم أنَّها تناولت الكثير مِن المُؤلَّفات بالشرح و التحليل، إلا أنَّها مرَّت مُرور الكرام عند الحديث عنْ ابن مُجاهد، و أبي علي الفارسي، و ابن جني، وجهودهم في الاحتجاج للقراءات القرآنية. و هذا طبيعي؛ لأنَّ الهدف لم يكن الاحتجاج اللغوي للقراءات، و إنَّما تتبع المُؤلَّفات التي اعْتَنت بالنَّحو و التَّفسير ككتب معاني القرآن، و مجاز القرآن و غيرها.

ـ و أيضا عبد العالي المسئُول و كتابه " القراءات الشاذة ـ ضوابطها و الاحتجاج بها في الفقه و العربية " اهتم فيه بالحديث عن الشذوذ في القراءة و شروط القراءة الصَّحيحة، و في الأخير خصصَّ فيه صفحة واحدة للحديث عنْ توجيه القراءات الشاذة.

أمَّا الرسائل العلميَّة فلم يكن حظُّها مِن العناية بالاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنية أفضل حالاً مِن سابقتها، إذ تميَّزت هي الأخرى بالجزئية كذلك، و مِن أمثلتها: مذكرة لنيل درجة الماجستير في القرآن و علومه، المُعنونة ب " كتاب السَّبعة لابن مُجاهد عرضاً و دراسة " للطالب أحمد بن سعد بن حُسين المطيري، سنة 2002 م. قام فيها بدراسة الكتاب و كل ما يتعلَّق بالقُرَّاء السَّبعة فقط دُون غيرهم.

ـ ومُذكرة أخرى لنيل درجة الدكتوراه بعُنوان " منهج الاحتجاج للقراءات القرآنية عند أبي علي الفارسي من خلال كتابه " الحُجَّة للقرَّاء السَّبعة " موسم 2012 م، للطالب و الباحث عبد الرحمن معاشي، أجْمَل فيه القول عنْ منهج الفارسي في الاحتجاج للقراءات السَّبعة في فصلٍ كاملٍ، و التَّمثيل لكل مستوى مِن مُستويات اللغة على حده، دُون أنْ يتطرق لجهود العلماء قبل الفارسي في الاحتجاج و لو بإشارة طفيفة.

و يفرض هذا النَّوع مِن البحوث تنوُّعاً في المصادر و المراجع، و من أبرزها: كتاب المصاحف " لأبي حاتم السَّجستاني " و" صحيح البخاري "، و الإتقان في علوم القرآن " لجلال الدين السُّيوطي" ، و السَّبعة في القراءات " لابن مُجاهد " و الحجة للقراء السَّبعة " لأبي علي الفارسي، و المُحْتَسب " لابن جني ، و القراءات الشاذة و توجيهها النَّحوي " لأحمد محمد الصغير، و غيرها الكثير.

و بالمُختصر المُفيد، فقد كان لكل تلك الدراسات دورٌ بارزٌ في بلورة هذا البحث، و إخراجه من العدم إلى الوجود، و على الرغم من ذلك فقد واجه البحث بعض الصُّعوبات، لعلَّ من أبرزها: سعة هذا الموضوع، و تشعب أطرافه، وطرقه و تداخلها مع بعضها البعض بسبب قلَّة الحيلة في علوم اللغة على رأسها النَّحو و الصَّرف، و علوم القرآن في مقدِّمتها القراءات و توابعها، إضافة لعدم المعرفة الكافية بالتاريخ الإسلامي. كذلك كان لكثرة المصادر والمراجع _ وخاصة النظريَّة المُؤصِّلة منها _ دورٌ في تعقيد البحث بسبب كثرة الآراء و الخلافات في كثير مِن مسائل هذا الفن، على عكس الجوانب التطبيقيَّة القليلة إنْ لم نقل النادرة في هذا الموضوع .

و لم يبق لنا إلاّ تقديم الشكر إلى الأستاذ المُشرف . الدكتور. نصر الدّين وهابي، الذي كان لنا عوْناً، لإخراج هذا البحث في أبهى حلة، و إلى كل من مدّ لنا يد العون من قريب أو من بعيد.

و في الأخير، لا يسعنا إلا الإقرار بأنَّ الجهد البشري مهما بلغ فإنَّه معرض للصَّواب و الخطأ، فما كان فيه مِن صواب فمن الله تعالى وحده، و ما كان فيه مِن خطأ، أو زلل أو سهو فمن أنفسنا و من الشيطان. و نسأل الله أنْ يتقبل جهدنا، و أنْ ينفع به المُسلمين و أنْ يُحسن مقاصدنا و نياتنا، إنَّه ولي ذلك و القادر عليه.

تمهيد

تمهيد :

كان لظهور القرآن الكريم تأثير كبير في حياة المجتمع الإسلامي على المستو يين: العقلي و العلمي ؛ إذ شهدت الدراسات الدينية واللغوية حراكا غير مسبوق بعد أن طفق العلماء يتدارسون كتاب الله، فنتج عن ذلك ميلاد علوم شتى لعل من أهمها وأولها علم القراءات .

تعريف القراءات :

القراءات في اللغة : ج قراءة ، وهي مصدر الفعل قَرَأَ، جاء في مقاييس اللغة (قَرَى) و (قَرَأَ) سواءٌ ، و هما أصلان صحيحان يدلان على جمع و اجتماع ... و منه القرآن كأنه سُمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام و القصص و غير ذلك [1] . و معنى هذا أن الجذر قرأ يشير إلى ضم أشياء متعددة في مكان واحد و تحت مظلة واحدة ضُمَّت بعضها إلى بعض . [2] و قرأ الكتاب . قراءة، و قرآنا : تَتَبَّع كلماته نظرا و نطق بها. و . تتبع كلماته و لم ينطق بها ؛ و سميت (حديثا) بالقراءة الصامتة " [3] أي أن القراءة هي ضم الحروف و الكلمات بعضها إلى بعض في التلاوة .

نلاحظ من خلال هذه التعريفات تطور دلالة الجذر " قَرَأَ " من الدلالة على الضَّم و الاجتماع مطلقا إلى معنى النطق و التلاوة .

---

[1] . ينظر: مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، القاهرة . مصر ، ط 2 ، 1979 م ص 79/5 .

[2] . ينظر: تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري، تح : محمد محمد تامر ، دار الحديث القاهرة . مصر ، بط ، 2009 م، ص 924 .

[3] . المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة . مصر، ط 4، 2004م، ص 722 .

أما القراءة عند أهل التخصص فهي " علم بكيفية أداء كلمات القرآن، و اختلافها معزو لناقله " [1] و المقصود " بعلم كيفية أداء كلمات القرآن " هو : طريقة النطق بالقراءات على الوجه الصحيح كما نزل بها أمين الوحي جبريل ـ عليه السلام ـ على النبي محمد ـ صلى الله عليه و سلم ـ نقلا عن المولى عز و جلّ . ومثال ذلك في سورة الفاتحة إذ اختلف القُرَّاء في إثبات الألف ، و إسقاطها من قوله تعالى : (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) ، فقرأ عاصم، و الكسائي (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) بالألف و قرأ الباقون (مَلِكِ) بغير ألف[2] .

أما المقصود بقولنا " و اختلافها معزو لناقله " إنّ كل قراءة نقلها الرواة بسند صحيح بالتواتر.

و لم يبتعد معجم علوم القرآن في تعريف القراءة القرآنية عن سابقه إذ يعرفها بأنها " أداء كلمات القران الكريم و اختلاف النطق بها معزوٌّ إلى علماء القرآن و مجوديه و مقرئيه " [3] فما زاده صاحب التعريف عن الإمام ابن الجزري هو الإشارة إلى وجود علم يختص بطريقة نطق كلمات القرآن، و هو علم التجويد الذي يتداخل مع علم القراءات من حيث عناية كل منهما بنطق كلمات القرآن، و إن كان الثاني يتخصص أكثر من الأول في ذلك .

وهناك من عَرَّف القراءات بأنها " تلك الوجوه اللغوية و الصوتية ، التي أباح الله بها قراءة القرآن تيسيرا و تخفيفا عن العباد " يفهم من هذا التعريف أن الخلاف بين قراءة و أخرى لا يخرج عن كونه اختلافا نحويا أو صرفيا أو صوتيا أدائيا (إمالة كبرى، إمالة صغرى تفخيم ، ترقيق ...) أو دلاليا بوجود معنى إضافي بين قراءة و أخرى .

نستنتج من التعريفات السابقة أن القراءات هي وجه من وجوه التيسير في تلاوة القرآن الذي

---

[1] . منجد المقرئين و مرشد الطالبين، محمد بن محمد بن الجزري ، وضع حواشيه : محمد عمرات، منشورات دار الكتب العلمية، ط1، 1999 ، ص 9 .

[2] . الحُجَّة للقراء السبعة ، أبو علي الحسن بن عبد الغفَّار الفارسي ، تح : بدر الدين قهوجي و بشر حويجاني ، دار المأمون للتراث ، دمشق . سوريا ، ط 1، دت، ص 7.

[3] . : معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم دمشق، ط1، 2001، ص 221 .

نزل على سبعة أحرف كما جاء في السنة النبويّة أحاديث كثيرة صحيحة تدلّ على ذلك مثل قوله ـ صلى الله عليه و سلم: " أَقْرأنِي جِبريل على حرف ، فراجعته، فلم أزل أستزيده و يزيدني، حتى انتهى على سبعة أحرف . " [1]

و كذلك قصة عمر ـ رضي الله عنه ـ مع هشام بن حكيم حين سمعه يقرأ في صلاته بقراءة مختلفة عماّ تعلّمه ، فأقتاده للنّبي _ صلى الله عليه و سلم ، و لما سمع منهما، قال: ((كذلك أُنزِلت إنّ هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف ، فأقرؤوا ما تيسر منه)). [2]

نشأة القراءات و بداية رخصة الأحرف السَّبعة :

لقد وقع اختلاف كبير في تاريخ بداية نزول القراءات، و انقسم العلماء في ذلك قسمين:

الرأي الأول: يرى أن بداية نزول القراءات بدأ في مكَّة، و احتج أنصار هذا المذهب بعدَّة أدلة، وبراهين هي:

1 ـ وُرود مجموعة مِن الأحاديث التي تثبت نزول القرآن على سبعة أحرف، منها قول الرسول ـ صلى الله عليه و سلم:" أقرأني جبريل على حرف واحد، فراجعته، فلم أزل أستزيده و يزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف" و هذا يدل على أنَّ القرآن و القراءات نزلا في وقت واحد.

2 ـ و ما يُرجِّح هذا الرأي أنَّ عدد السُور المكيَّة أكثر من نظيرتها المدنيَّة؛ إذ بلغ عدد الأولى ستة و ثمانين، أمَّا الثانية فثمانية و عشرين سُورة .

3 ـ عدمُ ثبوت إعادة نزول السُور المكيَّة مرَّة أخرى بالمدينة، و هذا يؤكد أنَّ نزول القراءات بدأ بمكَّة لا بالمدينة.

---

[1]. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب فضائل القرآن، تح: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر و التوزيع ، الرياض . المملكة العربية السعودية، د ط ، 1998 ، ص 993 .

[2] . المصدر نفسه : ص 993.

4 ـ الهدف من نزول القراءات هو التخفيف على الأمَّة، و التسهيل عليها في تلاوة القرآن و هذا أحوج ما كانوا إليه في بداية الدَّعوة في مكة.[1]

الرأي الثاني: و يذهب إلى أنَّ بداية نزول القراءات كانت بالمدينة المنوَّرة؛ و ذلك لدخول الكثير من القبائل العربية في الدين الجديد أفواجا، فكانت رخصة القراءات . و استدلَّ أصحاب هذا الرأي بالحديث الذي رواه أُبيٌّ بن كعب، أنَّ النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ كان عند أَضَاةَ بني غِفار، فأتاه جبريل فقال: إنَّ الله يأمُرك أنْ تقرئ أُمتك القرآن على حرفٍ واحدٍ، فقال: أسأل الله معافاته و مغفرته، و إنَّ أُمَّتي لا تُطيق ذلك ... ثُمَّ جاءه الرابعة فقال: إنَّ الله يأمرك أنْ تُقرئ أُمَّتك على سبعة أحرف، فأيَّما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا "[2]، و هذا الحديث يدل دلالة قاطعة على الوقت الذي أُبيح فيه قراءة القرآن على سبعة أحرف؛ لأنَّ أضاة بني غفار مستنقع ماء قُرب المدينة المنورة. [3]

إنَّ المُتأمل في حجج الفريقين يجدها قويَّة و لا تقبل الدَّحض، لكن الشيء الأقرب للمنطق هو الرأي الأول؛ لأنَّ النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ مكث يدعو في مكَّة عشر سنين و كانت الوفود تأتيه مِن كل حدب و صوب للدخول في الإسلام؛ و هذا يعني أنَّ رخصة القراءات شُرعت بمكَّة لا المدينة.

فائدة علم القراءات

مما لا شك فيه أن لكل علم غاية وضع لأجلها ، و علم القراءات ليس استثناءا في ذلك إذ هدفه هو" العصمة من الخطأ في النطق بالكلمات القرآنية، و صيانتها من التحريف

1 . ينظر: مقدمات في علم القرآن ، أحمد مفلح القضاة و آخَرَيْن ، دار عمار ، عمان . الأردن ، ط 1 ، 2001 م ، ص 52 . 53 .

2 . صحيح مسلم، الحافظ أبو الحسين مسلم، اعتنى به: أبو قتيبة محمد بن نظر الفاريابي، دار طيبة للنشر و التوزيع . الرياض . المملكة العربية السعودية، ط1، 2006، ص 365/1. 366.

3 . ينظر : المصدر نفسه، ص 53.

والتغيير و العلم بما يقرأ به كلُّ إمام من أئمة القراءة، و التمييز بين ما يُقرأُ به و ما لا يُقرأ به"[1] و معنى هذا أن علم القراءات جاء من أجل حماية القرآن الكريم من اللحن و الخطأ في النطق من جهة ، و حفظ أوجه القراءات التي قرأ بها النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ ونقلها إلى الأجيال اللاحقة من جهة أخرى .

علاقة القرآن بالقراءات:

لقد تنازعت علاقة القرآن بالقراءات أراء ثلاثة :

الرأي الأول: تبنى هذا الرأي بدر الدين الزركشي و شهاب الدين القسطلاني إذ يريا " أن القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان " فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد – صلى الله عليه وسلم _ للبيان والإعجاز، والقراءات هي اختلاف ألفاظ الوحي المذكور في كتبة الحروف أو كيفيتها ؛ من تخفيف و تثقيل و غيرهما" [2] نستنتج من هذا الرأي أن الاختلاف حاصل بين القرآن والقراءات؛ إذ إنّ المعنى هو القرآن و الألفاظ هي القراءات، ولو أخذنا بهذا الرأي بحذافيره لكانت القراءات ليست من القرآن، و هذا يتعارض مع الأحاديث التي تثبت أن القران نزل على سبعة أحرف .

الرأي الثاني: " القرآن و القراءات حقيقة واحدة؛ و يدل على ذلك الأحاديث الصحيحة الواردة في نزول القرآن على سبعة أحرف ، من ذلك ما رواه عبد الله بن عباس ـ رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم : " أقرأني جبريل على حرف فراجعته، فلم

---

[1]. الكامل في القراءات السبع ، أبو عبد الله محمد بن شريح الرّعيني الأندلسي، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط1، 2000م، ص : 9 .

[2] . البرهان في علوم القران، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث القاهرة ـ مصر ، دط ، دت ، النوع الثاني والعشرون ، ص 318/1 .

أزل أستزيده و يزيدني حتى انتهى إلى سبعة أحرف،" [1] إضافة إلى ذلك أن كلا منهما مشتقان من مصدر لغوي واحد هو القراءة [2].

و رغم أن هذا الرأي فيه جزء من الصواب وهو كون القرآن و القراءات تتفقان في أمور كثيرة من بينها الاتفاق في الجذر اللغوي إلا أنهما يختلفان في عدة أمور كذلك من بينها أن القراءات على اختلافها لا تشمل كلمات القرآن كله؛ لأنها موجودة في بعض ألفاظه، كما أنّ تعريف القراءات يشمل المتواتر و الشاذ، و القراءات المتواترة من القرآن قطعا، أما الشاذ فلا.

الرأي الثالث: و يذهب هذا الرأي إلى الجمع بين الرأيين السابقين؛ أي " أن القرآن و القراءات المتواترة حقيقة واحدة باعتبار كونهما وحيا من عند الله _تبارك وتعالى؛ فإن القراءات المتواترة و الاختلاف الثابت عن النبيّ . صلى الله عليه و سلّم . في بعض الكلمات جزء من الوحي النازل عن النبي صلى الله عليه وسل م، و القرآن و القراءات حقيقتان متغايرتان باعتبار طبيعة كل منهما، فإنّ القرآن هو كل ما نزل من عند الله عزّ و جلّ سواء أكان بوجه أو وجوه و نقل بالتواتر، وهو في الحالتين نزل للإعجاز و البيان، و القراءات بنوعيها المتواتر و الشاذ، هي الكلمات المختلف فيها .

ولذا فإن القرآن الكريم أعمّ من القراءات القرآنية المتواترة، كما أن القراءات الشاذة ليست من القرآن، و القراءات القرآنية المتواترة جزء من القرآن ولا تنافيا بينهما فكل قراءة صحيحة ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم هي بعض من أبعاض القرآن الكريم نزلت رخصة و تخفيفا على الأمة كما ثبت ذلك في أحاديث الأحرف السبعة.[3]

---

[1]. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي ، بيت الأفكار الدولية للنشر الرياض . المملكة العربية السعودية، د ط ، 1998م، كتاب فضائل القرآن، ص 993 .

[2] . ينظر: القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية، المدينة المنورة . المملكة العربية السعودية، دط، 1984، ص 1/ 10 .

[3] . مقدمات في علم القراءات ، محمد أحمد مفلح القضاة و أحمد خالد شكري وآخرون دار عمار عمان ، الأردن ، ط 1 2000 م ، ص 51 .

طرق التأليف في كتب القراءات:

شهدت حركة التأليف و التدوين نشاطا غير مسبوق منذ أواخر القرن الأول الهجري

و بداية الثاني نتيجة الاهتمام و العناية الكبيرة بالقرآن الكريم . و القراءات لم تكن استثناء في ذلك، إذ شرع علماء الدين و القراءات يشتغلون بهذا الفن، إذ تذكر المصادر أنّ أوّل من ألّف في القراءات مؤلفا مستقلا هو أبو عبيد القاسم بن سّلام (ت 225هـ)ألف كتابا جمع فيه خمسة و عشرين قارئا بما فيهم القراء السبعة [1].

و التأليف في القراءات شهد ثلاثة أنحاء :

1. كتب مفردة لقراءة إمام من الأئمة ، كصنيع رضي الدين أبي عبد الله محمد بن أبي نصر الكرماني (ت 563 هـ) في كتابه " قراءة الكسائي رواية أبي عمر الدوري عن طريق ابن مقسم "، و كتاب " قالون " لمحمد أعظم أبي نصر الهرويّ ، تحقيق شايع الأسمري ، و كتاب " قراءة الكسائي من القراءات العشرة المتواترة لأحمد محمود عبد السميع الشافعي الحَفُيان .

2 . كتب جامعة لقارئين أو أكثر، ككتاب " السبعة في القراءات " لأبي بكر بن مجاهد (ت 324 هـ) و كمؤَلَف " التيسير في القراءات السبعة " لأبي عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت 444 هـ) و كتاب " العنوان في القراءات السبعة " لأبي طاهر إسماعيل بن خلف المقرئ الأنصاري الأندلسي (ت 445 هـ) ، وكتاب "المنهج في القراءات الثمان و قراءة الأعمش و ابن محيسن و اختيار خلف و اليزيدي " للإمام أبي محمد عبد الله بن علي بن أحمد المعروف بسبط الخياط البغدادي (ت 541 هـ) ، و كتاب " النشر في القراءات العشر لأبن الجزري (ت 833 هـ) .

[1] . ينظر: النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، تصحيح : علي محمد الضباع، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، (د ط) ، (د ت) ، ص 33/1، 34 .

3. كتب توجيه القراءات و الإحتجاج لها ، ككتاب " معاني القراءات " لأبي منصور الأزهري محمد بن أحمد (ت 370 هـ) ، و كتاب " الحجة في القراءات السبعة " لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خلويه (ت 370 هـ) و كتاب " الحجة في علل القراءات السبعة " للحسن بن عبد الغفار النحوي الفارسي النحوي (ت 377 هـ) ، و كتاب " المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها لأبي الفتح بن جنيّ (ت 395 هـ) ، و كتاب " الحجج في توجيه القراءات " لأبي معشر الطبري المتوفى (ت 478 هـ) .

مفهوم الاحتجاج و مصادره:

مِن المُتعارف عليه أنَّ القراءة سُنَّة مُتَّبعة ينقلها الأوَّل عن الآخِر مُشافهة دُون زيادة، أو نقصان كما رُويت عن الرسول _ صلى الله عليه و سلم _ لكن مع مُرور الأجيال شَهِدت القراءات نوعا مِن التساهلِ في النقل و الرواية؛ ممَّا جعل بعض ضعاف النفوس يختارون لأنفسهم وُجوه جديدة في القراءة . و هذا ما دفع بالعُلماء الغَيورين إلى الاحتجاج للقراءات. " و يُراد بالاحتجاج هنا الكشف عن وجه القراءة في نحوها، أو صرفها، أو لغتها، و تسويغ الاختيار، و ذلك بأساليب اللغة الأخرى، مِن قرآن و شعر ولغات " [1] ؛ و معنى ذلك أنَّ الاحتجاج هو مُحاولة إثبات صحة وجه مِن وُجوه قراءةٍ في مستوى من مُستويات اللغة المُختلفة، و ذلك بالاستعانة بمصادر الاحتجاج المعروفة، و الموثوق بصحتها سواء بالقراءات القرآنية نفسها؛ إذ يستطيع المُحاج أنْ يستعين في احتجاجه للقراءة بآية مِن نفس القراءة، أو مِن قراءة أخرى، أو باقتباس حديث نبوي شريف، أو ببيت شعر ممَّا جادت به قرائح شُعراء العرب، أو بمثل أو حكمة دامغة.

و لمصطلح الاحتجاج مُرادفات كثيرة ذكرها أئمة العربية، مِن بينها: الاحتجاج، ككتاب " احتجاج القراءة " للمبرِّد (ت 285 هـ) ، و كتاب أبي علي الفارسي (ت 377 هـ) " الحجة للقراء السَّبعة " . و التَّعليل: مثل كتاب " التعليل في القراءات السَّبعة " لأبي العباس

[1] ـ القراءات الشاذة و توجيهها النَّحوي، محمود أحمد الصغير، دار الفكر، دمشق ـ سوريا ، ط 1 ، 1999 م ، ص 206 .

الموصلي، و الإيضاح: و استعمله ابن جني (ت 392 هـ) في كتابه " المُحتَسب في تبيين وُجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها " ، و التأويل: و استعمله أبو حيان الغرناطي (ت 745 هـ) في تفسيره " البحر المحيط "، و التخريج: و استعمل هذا المصطلح كل مِن ابن هشام (ت 761 هـ)، والسيوطي (ت 911 هـ) في مُؤلَّفاتهما ، و التوجيه و غيرها.[1]

ما هي أهم المراحل التي مرَّ بها فن الاحتجاج للقراءات ؟

إنَّ الاحتجاج للقراءات شأنه شأن العلوم العربية الأخرى مرَّ بمراحل حتى وصل أَوَجَّه و هذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: وهي مرحلة التوجيه الشفهي؛ و مقتضاه" أنْ يقرأ القارئ قراءة معيَّنة يميل إلى اختيارها على ما سواها، ثم يحتج لاختياره، ويبرره بتوجيه لغوي، أو معنوي أو تفسيري" [2] ؛ أي أنَّ الاحتجاج في هذه الفترة المُبكرة كان عفويًّا، بحيث ينتقي القارئ ما يُريد مِن القراءات، ثم يُدافع عن الوجه الذي اختاره، كما فعل ابن عباس (ت 68 هـ) لقراءة (وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا)[3]بقوله تعال: (ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ)[4]

المرحلة الثانية: تدوين الاحتجاج للقراءات في كُتب المعاني

و هو نوع جديد من التأليف اشتهر عُرِف" بمعاني القرآن " اشتهر به: الفراء(ت 207 هـ) و الأخفش (ت 215 هـ)، والزَّجاج في كتابه " معاني القرآن و إعرابه ". و هذه الكُتب

[1] ـ ينظر: فائز محمد الغرازي، فن توجيه القراءات القرآنية ، مجلة الباحث الجامعي، ع 30 ،اليمن ، أبريل ـ يونيو 2013 ص 3 .

[2] ـ المصدر نفسه ، ص 7 .

[3] . ينظر: القراءات الشاذة و توجيهها النَّحوي، محمود أحمد الصغي ر، دار الفكر، دمشق . سوريا ، ط 1 ، 1999 م ص 205 .

[4] . عبس ، الآية : 22 .

وغيرها زَخِرت باللغة، و النحو، والشعر، و القراءة، و التفسير.[1] و قد احتوت في شتات صفحاتها بعض القضايا المُتعلقة بالاحتجاج للقراءات.

المرحلة الثالثة: تدوين الاحتجاج للقراءات في مُؤلَّفات مُستقلة

في هذه المرحلة، أصبح الاحتجاج للقراءات فنًّا قائما بذاته له كُتبه المُستقلة، خاصة بعد أنْ وضع ابن مُجاهد شروط القراءة الصَّحيحة، وقتئذٍ تهافت العلماء على التأليف في الاحتجاج و قد ذكرنا بعضا منها عند حديثنا السَّابق على تعريف الاحتجاج و المصطلحات المُرادفة له.

[1] . يُنظر: فن توجيه القراءات القرآنية، فائز محمد الغرازي، مجلة الباحث الجامعي، ع 30 ،اليمن، أبريل . يونيو 2013 ص 3 .

الفصل الأوّل : الاحتجاج للقراءة القرآنية قبل التّسبيع

المبحث الأول : قبل فترة ظهور اللّحن

- جمع القرآن في عهد عثمان

- نزول القرآن بلغة قريش و حججه

المبحث الثّاني : فترة ظهور اللّحن

- اللّحن ـ مفهومه ، وأسبابه وشواهده

- القراءة و النحو

جمع القرآن الكريم:

كان العرب يعيشون في جاهلية حتى بُعث النبي محمد ـ صلى الله عليه و سلم ـ الذي ظلّ الوحي ينزل عليه مدّة عشرين سنة، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها:" لبث النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، و بالمدينة عشر سنين " [1] و خلال هذه السنوات كان النبي ـ صلى الله عليه و سلم _ يعلم أصحابه ما نزل عليه من القرآن ليحفظوه و يعلموه للآخرين. و أخذ الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ يشجع أصحابه على حفظ القرآن و كتابته كي لا يضيع منه شيئا ، فقد وردت عدَّت روايات و حوادث تثبت ذلك، منها ما رواه عبد الله بن عمر: " كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ أريد حفظه فنهتني قريش ، فقالوا : إنك تكتب كل شيء تسمعه من رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ و رسول الله بشر يتكلم في الغضب و الرضا، فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ فقال : " اكتب ، فوَالّذي نفسي بيده ما خرج مني إلا الحق "[2] فهذه رواية صريحة تبين أهمية التدوين من أجل حماية الوحي من النسيان و الضياع . كذلك ما رواه أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رجلا من الأنصار كان يجلس إلى رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ فيسمع منه الحديث فيعجبه و لا يحفظه فشكا ذلك إلى الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ فقال: " استعن بيمينك، و أومأ بيده إلى الخط "

[1]. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر الرياض . المملكة العربية السعودية، كتاب فضائل القرآن ، د ط ، 1998م ، ص : 991 .

[2]. كتاب المصاحف، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تح : أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي غراس للنشر و التوزيع ، عمان . الأردن ، ط 1 ، 2006 م ، ص128 .

ما نستنتجه من هاتين الروايتين و غيره ما، أن النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ أراد غرس روح العلم في الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ و ذلك عن طريق تشجيعهم على القراءة و الكتابة التي هي الضامن الوحيد و الأساسي لبقاء العلم و انتقاله لمن يتلوهم من الأجيال لأن رسالة النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ للناس كافة، فكأنَّ هذا كان تهيئة منه ـ صلى الله عليه و سلم ـ و إعداد المجتمع للمرحلة الجديدة تكون فيها قوة القلم تضاهي قوة السيف في التأثير .

و كنتيجة لهذا الاهتمام حفظ جمع غفير من الصحابة القرآن و من في النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ فقد روي أن أنس بن مالك سئل من جمع القرآن على عهد النبي ـ صلى الله عليه و سلم ؟ قال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، و معاذ بن جبل، و زيد بن ثابت، و أبو زيد ." [1] و هذا لا ينفي أن يكون غيرهم قد جمعوه من غير الأنصار إذ كان جماعة من المهاجرين يجمعونه كالصدِّيق ، و ابن مسعود و سالم مولى أبي حذيفة و آخرين .[2] و المقصود بالجمع في هذا الحديث، إما الحفظ في الذاكرة، أو كتابته في رقاع النخيل والعسب و ليس جمعه في مصحف واحد كما جاء على لسان أحد كتاب الوحي زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ قال : " كنا عند رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ نؤلف القرآن من الرقاع "[3].و بعد توسع الفتوحات و انتشار الإسلام على نطاق واسع كان لابد من وجود مساعدين للنبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ على تعليم القرآن للناس من اختيار المصطفى صلى الله عليه و سلم ـ فقد روي عن عبد الله بن عمرو قوله : " سمعت النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ يقول : خذوا القرآن من أربع ، من عبد الله بن مسعود ، و سالم، و معاذ

---

[1]. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي ، تح: مركز الدراسات القرآنية، مجمع الملك فهد، المدينة المنورة . المملكة العربية السعودية، (د ط)، (د ت) ، ص 2/ 459 .

[2]. ينظر، فضائل القرآن، أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، تح : أبو إسحق الحويني الأثري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة . مصر، ط1 ، 1995 م .

[3]. الإتقان، السيوطي، ص 378/2 .

و أبي بن كعب " [1] . و هذه إشارة واضحة منه ـ صلى الله عليه و سلم ـ لأهلية هؤلاء الأربعة _ رضوان الله عليهم أجمعين _ في تحفيظ القرآن للناس من أجل نشر القرآن و حمايته من النسيان و الضياع .

و جمع القرآن يطلق تارة و يراد به حفظه و تقييده في الصدور و يطلق تارة أخرى و يراد به كتابته في الصحف و السطور [2]، و جمع القرآن بهذا المعنى الأخير لم يكن دفعة واحدة بل مر بثلاث مراحل كما جاء في المستدرك " إن جمع القرآن لم يكن مرة واحدة فقد جمع بعضه بحضرة النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ ثم جمع بعضه بحضرة الصديق ـ رضي الله عنه ـ و الجمع الثالث هو في ترتيب السور كان ذلك في خلافة أمير المؤمنين عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه "[3] و سنفصل بدراسة كل مرحلة على حدهكما يلي :

المرحلة الأولى : جمع القرآن في العهد النبوي .

مما لا شك فيه أن غاية النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ و أولويته كانت حفظ القرآن و صيانته من الضياع و التفرق، لذلك حرص أشد الحرص على جمع آياته ساعة نزولها دون تأخير ، قال عثمان بن عفان _ رضي الله عنهما: " كان رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ إذا نزلت عليه آية دعا بعض من يكتب فقال: ضع هذه الآية في الموضع الذي يذكر فيه كذا و كذا "[4]. و قول زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه : " ... كنت جار رسول الله

---

[1]. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر ، الرياض . المملكة العربية السعودية ، كتاب فضائل القرآن، د ط، 1998م، ص994.

[2]. ينظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم، محمد محمد أبو شهبة، دار اللواء، الرياض . المملكة العربية السعودية، ط 3 1987م، ص 212 .

[3]. المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري ، تح : مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ، ط 2 ، 2002 م ، كتاب التفسير ، ص 249 .

[4]. فضائل القرآن ، أبو عبيد القاسم بن سلام، تح : أحمد بن عبد الواحد الخياطي، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية المملكة المغربية، د ط ، د ت، ص 2/ 91 .

صلى الله عليه و سلم ـ فكان إذا نزل الوحي أرسل إلي فكتبت الوحي ..." و قوله :" كنا عند رسول الله ـ صلى الله عليه و سام ـ نؤلف القرآن من الرقاع " [1] نستنتج من ذلك أن النبي صلى الله عليه و سلم ـ لم يكن يكتفي بمجرد تلقّين القرآن عن طريق المشافهة و الأداء فقط من خلال تعليمه لأصحابه، بل كان يعتمد كذلك على التدوين و الكتابة لتثبيته و حمايته؛ لحكم منها:

1ـ بيان ترتيب الآيات، و وضعها بجانب بعضها البعض؛ فإنه بالاتفاق بين العلماء ترتيبها توقيفي ، نزل به جبريل ـ عليه السلام ـ و كذلك ترتيب السور توقيفي على الأرجح .

2ـ زيادة التأكيد؛ فإن الكتابة طريق من طرق الإثبات، و هي و إن كانت أضعف من السماع، فضلا عن التواتر اللفظي، إلا أنها إذا انضمت إلى ما هو أقوى منها في الإثبات زادته قوة على قوة، فاحتيج إلى زيادة التأكيد في القرآن لكونه كتاب الله ـ تعالى ـ و أعظم معجزة للنبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ لكونه أساس الشريعة، و إليه ترجع سائر الأدلة الشرعية في ثبوت اعتبارها في نظر الشارع .[2]

بعد أن بينا حرص النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ على تدوين القرآن حال نزوله كي لا يضيع منه شيئا ، فإن السؤال الذي يطرح نفسه بشدة هو: لمَ لمْ يأمر النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ بجمع القرآن الكريم في مصحف واحد بين دفتين ؟ و جواب ذلك أن تواصل نزول الوحي عليه ـ صلى الله عليه و سلم ـ لم يمكن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ من جمعه لأن الآيات و السور كانت تنزل بحسب المناسبات و الوقائع و الأحداث، و هذا المعنى نستشفه من كلام أبي بكر بن الأنباري إذ يقول:" أُنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا ثم فرق

[1]. الإتقان: السيوطي ص 2/ 378 .

[2]. بنظر : كتاب المصاحف، أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تح : أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي مؤسسة غراس للنشر، عمان . الأردن، ط 1 ، 2006 م ، ص 133 .

في بضع وعشرين سنة، فكانت السورة تنزل لأمر يحدث، والآية جواب لمستخبر ... "[1] و لو حاول صحابي جمعه لكان في كل مرة مضطرا لإعادة جمعه و ترتيبه من جديد و ذلك عمل عسير جدا بالنظر إلى أدوات الكتابة التي كانت متوفرة وقتها . و إنما لم يكتب في عهد النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ مصحف لئلا يفضي إلى تغييره كل وقت فلهذا تأخرت كتابته إلى أن اكْتمل نزول القرآن بموته ـ صلى الله عليه و سلم ، إضافة إلى ذلك ضيق الوقت بين اكتمال نزول الوحي، و بين موته ـ صلى الله عليه و سلم ـ و مصداق ذلك ما جاء على لسان أنس بن مالك " أن الله تعالى تابع على رسوله ـ صلى الله عليه و سلم ـ الوحي قبل وفاته ، حتى توفاه أكثر ما كان الوحي ، ثم توفي رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم بعد "[2] .

كما أن فترة وجود الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ تميزت بالهدوء و الاستقرار و أي اختلاف أو نزاع كان يفصل فيه ـ صلى الله عليه و سلم ، على عكس ما سنرى في فترة خلافة أبي بكر و عثمان ـ رضوان الله عليهما ـ حيث نشطت الفتن و الحروب و كثر الهرج و المرج ." [3] إنما لم يجمع النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ القرآن في المصحف لما كان يترقبه من ورود ناسخ لبعض أحكامه أو تلاوته ، فلما انقضى نزوله بوفاته ألهم الخلفاء الراشدين ذلك وفاء بوعده الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة ، فكان ابتداء ذلك على يد الصديق، بمشورة عمر "[4]

جمع القرآن في عهد الخليفة أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه :

بعد وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ تولى أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه

[1]. البرهان، الزركشي، ص 260 .

[2]. صحيح البخاري ، البخاري ص 991 .

[3]. الإتقان، السيوطي، ص 2/ 377 .

[4]. البرهان، الزركشي، ص262 .

الخلافة سنة 11هـ، و تذكر المصادر أن خلافته امتدت سنتين و ثلاثة أشهر و عشرة أيام[1]. و قد شهدت الدولة الإسلامية خلال هذه الفترة حروب الردة التي سقط فيها ما يقرب عن خمسمائة من القراء[2]. و قد روي عن زيد بن ثابت أنه قال: أرسل إلي أبو بكر بعد مقتل أهل اليمامة، فإذا عنده عمر فقال أبو بكر : إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر بقراء القرآن يوم **اليمامة**[3] و إني أخشى أن يستحر القتل بقراء القرآن في المواطن كلها فيذهب قرآن كثير، و إني أرى أن تأمر بجمع القرآن قال: فقلت له: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و سلم ؟ فقال لي: هو و الله خير و لم يزل عمر يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري له، و رأيت فيه الذي رأى عمر قال: قال زيد و قال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، قد كنت تكتب الوحي لرسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ فتتبع القرآن فاجمعه . قال زيد: فو الله لو كلفوني نقل جبل ما كان أثقل علي من ذلك . فقلت : كيف تفعلون شيئا ما فعله رسول الله _صلى الله عليه و سلم ؟ فقال أبو بكر : هو و الله خير، فلم يزل يراجعني في ذلك حتى شرح الله صدري للذي شرح الله صدورهما له ثم تتبعت القرآن أجمعه من الرقاع و العسب و من اللخاف و من صدور الرجال، فوجدت آخر سورة براءة مع خزيمة بن ثابت: (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ) حتى ختم آخر السورة .[4]

هذه الرواية تبين أمورا عدة ، أهمها :

حرص الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ على الاهتمام بالقرآن الكريم لكونه الدستور الذي ينظم حياتهم و به تستقيم أمور دنياهم و آخرتهم؛ و مما يثبت ذلك هو القيام بجمع القرآن الكريم

[1]. التاريخ الإسلامي ـ الخلفاء الراشدون، محمود شاكر، المكتب الإسلامي، بيروت . لبنان، ط8، 2000 م، ص 3/ 102 .

[2]. ينظر ، فضائل القرآن، ابن كثير، ص، 58 .

[3]. موقعة اليمامة : هي معركة مشهورة كانت بين خالد بن الوليد قائد جيوش المسلمين و أتباع مسيلمة الكذاب من المرتدين انتهت بانتصار الجيش المسلم و سقط فيها ما يقرب الخمسمائة من القراء .

[4]. ينظر: كتاب المصاحف، السجستاني، ص 145، 146.

مع أن الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ لم يفعل ذلك، إذ ليس من السهل اتخاذ قرار مثل خذا، و هذا ما لاحظناه في تردد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ و هو خليفة المسلمين، و زيد الصحابي الجليل و كاتب و حي رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ قال ابن بطال : " إنما نفر أبو بكر أولا ثم زيد ثانيا لأنهما لم يجدا رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ فعله ، فكرها أن يحلا أنفسهما محل من يزيد احتياطه في الدين على احتياط الرسول، فلما نبههما عمر على فائدة ذلك، و أنه خشية أن يتغير الحال في المستقبل إذا لم يجمع القرآن فيصير إلى حالة الخفاء بعد الشهرة، رجعا إليه. "[1]

قال الحارث المحاسبي : " كتابة القرآن ليست محدثة؛ فإنه ـ صلى الله عليه و سلم ـ كان يأمر بكتابته، و لكنه كان مفرقا في الرقاع و الأكتاف و العسب، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعا ، و كان ذلك لمنزلة أوراق و جدت في بيت رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ فيها القرآن منتشرا فجمعها جامع، و ربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء"[2] ، فهذه الرواية توضح أن ما قام به أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ تمثل في جمع آيات و سور القرآن المشتت، و تنظيمها و ترتيبها في مصحف واحد جامع لها و بذلك يكون صاحب الفضل و الأجر الكبير لكل حرف يقرئ من كتاب الله، قال علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ " أعظم الناس أجرا في المصاحف أبو بكر، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن بين اللوحين "[3]

منهج أبي بكر في جمع القرآن :

بعد أن أدرك خليفة المسلمين ـ أبو بكر الصديق رضي الله عنه ـ ضرورة جمع القرآن

[1]. المتحف في أحكام المصحف، صالح بن محمد الرشيد، مؤسسة الريان، بيروت . لبنان، ط1، 2003 م، ص 2/ 510 .

[2]. الإتقان في علوم القرآن، السيوطي ، 385/2 .

[3]. كتاب المصاحف، السجستاني، ص : 144 .

و الحاجة الماسة لذلك ، سلك في ذلك منهجا دقيقا، مستعينا بلجنة مؤلفة من عمر و زيد و أبي ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ نقل إلينا هشام بن عروة عن أبيه، قال :" لما استحر القتل بالقراء يومئذ، فرق أبو بكر على القرآن أن يضيع، فقال لعمر بن الخطاب و لزيد بن ثابت : اقعدوا على باب المسجد، فمن جاءكم بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه " [1] قال ابن حجر في تفسير الحديث: "... و كأن المراد بالشاهدين : الحفظ و الكتاب أو المراد: أنهما يشهدان على أن ذلك المكتوب كتب بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم، أو المراد: أنهما يشهدان على أن ذلك من الوجوه التي نزل بها القرآن " [2] و أمام هذه التأويلات نستطيع القول إن العمل الذي قام به زيد تم على مرحلتين: الأولى : جمع القرآن الكريم من المصادر المكتوبة؛ و ما يعزز ذلك قوله في الحديث سابقا : " فتتبعت القرآن أجمعه من العسب و اللخاف ... " [3] و معنى هذا أنه كان كلما وجد آية أو سورة مكتوبة استشهد على صحتها بشاهدين اثنين يشهدان أنها كتبت بين يدي رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ حتى أصبح كل القرآن مكتوبا عنده .ثم المرحلة الثانية : مرحلة تدوين القرآن في المصحف، و هنا يأتي كذلك بشاهدين اثنين يحفظان الآية أو السورة المراد تدوينها عن ظهر قلب حتى انتهى بذلك إلى كتابة كل القرآن في مصحف واحد ففي حديث الليث بن سعد " ... و كان الناس يأتون زيد بن ثابت، فكان لا يكتب الآية إلا بشاهدي عدل، و إن آخر سورة براءة لم توجد إلا مع أبي خزيمة بن ثابت فقال: اكتبوها، فإن رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم ـ جعل شهادته بشهادة رجلين فكتب، و إن عمر أتى بآية الرجم فلم يكتبها لأنه كان وحده " [4]

ما نستنتجه من كل ما سبق أن المنهج الذي اتبعه أبو بكر الصديق بمعية عمر و زيد ـ

---

[1]. المصدر السابق، ص144 .

[2]. المصدر نفسه، ص144 .

[3]. البرهان في علوم القرآن، النوع الثالث عشر، ص 233/1 .

[4]. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، النوع الثامن عشر ، ص 384/2 . 385 .

رضوان الله عليهم - في جمع القرآن كان منهجا علميا تحروا فيه كل أسباب الدقة و الموضوعية التي تجلت في إخراج مصحف تمت كتابته بأدق وسائل التثبت و الاستيثاق، فلم يقبل فيه إلا ما أجمع الجميع على أنه قرآن متواتر الآيات و السور و مشتملا على الأحرف السبعة التي ثبتت في العرضة الأخيرة، خاليا من أي زيادة أو نقصان أو تبديل و كل هذا يدخل في وعد الله بحفظ كتابه في قوله عز وجل : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[1] . و بذلك يكون عمل أبي بكر الصديق في خدمة القرآن قد انتهى، و ظلت الصحف عنده حتى توفاه الله، ثم بقيت عند عمر بن الخطاب مدة ولايته حتى انتقل إلى جوار ربه، ثم احتفظت بها ابنته حفصة بعض الوقت إلى أن أرسل عثمان بن عفان _ رضي الله عنه _ في طلبها .

جمع القرآن في عهد عثمان بن عفان – رضي الله عنه :

تولى عثمان بن عفان الخلافة في سنة 24 هـ بعد وفاة عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - و ظل خليفة للمسلمين نحو اثني عشر عاما . و شهدت الدولة الإسلامية أيام خلافته فتوحات واسعة "أضافت بلادا جديدة في إفريقية و قبرص و أرمينيا، و أجبرت من نقض العهد على الصلح من جديد في فارس، و خراسان، و باب الأبواب، و ضمت هناك إضافة إلى ذلك فتوحات جديدة في بلاد السند، و كابل، و فرغانة .[2]

و يمكن إجمال القول إن فترة خلافة عثمان _ رضي الله عنه _ شهدت العديد من الحروب و الفتن، لعل أبرزها تلك المتعلقة بالقرآن و القراءات فعن ابن أبي قلابة قال: لما كان في خلافة عثمان جعل المعلم يعلم قراءة الرجل و المعلم يعلم قراءة الرجل ، فجعل الغلمان يلتقون فيختلفون، حتى ارتفع ذلك إلى المعلمين، قال أيوب: لا أعلمه إلا قال: حتى كفر بعضهم بقراءة بعض ، فبلغ ذلك عثمان ، فقام خطيبا : أنتم عندي تختلفون فيه و تلحنون

[1]. سورة الحجر، الآية 09 .

[2]. التاريخ الإسلامي . الخلفاء الراشدون: محمود شاكر، ص 3/ 229 .

فمن نأى عني من الأنصار أشد فيه اختلافا و أشد لحنا اجتمعوا يا أصحاب محمد فاكتبوا للناس إماما " [1]

وروى أنس بن مالك قال: إن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان ، و كان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية و أذربيجان مع أهل العراق، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة، فقال حذيفة لعثمان، يا أمير المؤمنين، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب، اختلاف اليهود و النصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة : أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، و عبد الله بن الزبير و سعيد بن العاص ، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، فنسخوها في المصاحف و قال للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم و زيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش ، فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا ، حتى إذا نسخوا المصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، و أرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، و أمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق " [2] هاتان الروايتان و غيرها تدل على أنه لما سمع عثمان ما سمع من اختلاف القراء و المعلمين في القراءات إلى درجة المفاضلة بينها ، بل و وصل الأمر بهم إلى تكفير بعضهم ، ثم تأكدت تلك الرواية لما نقل إليه حذيفة بن اليمان ما رآه من اختلاف في قراءة أهل الشام و العراق حيث أصبح كل فريق يرى قراءته أفضل من قراءة الآخر عندئذ اتخذ عثمان ـ رضي الله عنه ـ أمره بإعادة جمع القرآن من جديد معتمدا في ذلك على الصحف التي جمعها أبو بكر الصديق ـ رضوان الله عليه ـ لكونها منقولة بالتواتر غير مشكوك في قرآنيتها . و لتحقيق غايته شكّل عثمان ـ رضي الله عنه ـ لجنة مكونة على أرجح الأقوال من أربعة أعضاء رئيسيين، و هم : زيد بن ثابت الأنصاري، و عبد الله بن الزبير، و سعيد بن العاص، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام . و سبب اختيار هذه اللجنة كون زيد الأنصاري كاتب وحي النبي ـ صلى الله عليه

[1]. كتاب المصاحف، السجستاني، ص 205 .

[2]. صحيح البخاري، البخاري، ص 991 .

و سلم ـ و جامع القرآن في عهد أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ و أما الثلاثة القرشيون فلكون القرآن نزل بلغتهم و هم أدرى الناس بها ، جاء في حديث مصعب بن سعد "... ثم قال عثمان ـ رضي الله عنه ـ : أي الناس أفصح ؟ قالوا : سعيد بن العاص ثم قال : أي الناس أكتب ؟ قالوا : زيد ، فقال : فليكتب زيد ، و ليمل سعيد . قال : و كتب مصاحف فقسمها في الأمصار ، فما رأيت أحدا عاب ذلك عليه " [1].

و لم يتوقف منهج عثمان ـ رضي الله عنه ـ على تشكيل اللجنة فقط ، بل تعداه إلى وضع شرط أساسي لعملية التدوين و هو موافقة لغة قريش في حال وجود أي اختلاف بينهم في القرآن ، فقال : " إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ، ففعلوا ..." [2] ولم تذكر المصادر اختلافهم في شيء إلا ما ذكره ابن شهاب حين قال : " اختلفوا يومئذ في (التابوت) فقال زيد : هو(التابوه) و قال النفر القرشيون (التابوت) فرفع اختلافهم إلى عثمان ، قال : اكتبوه (التابوت) فإنه بلسان قريش "[3] ما يستفاد من هذه الرواية أن عثمان _ رضي الله عنه_ حين طلب من اللجنة اعتماد لغة قريش في حال وجود اختلاف ، دعوة منه _ رضي الله عنه _ إلى ترسيم لغة القراءة و من ثم لغة الدولة ألا و هي لغة قريش؛ لأن أغلب الدلائل و الآراء تشير إلى أن نزول القرآن كان بلغة قريش ، و هو ما سوف نخوض فيه في المبحث القادم بالتفصيل . إضافة إلى ذلك ، عندما يتحدث و يأمر عثمان _ رضي الله عنه _ فهو يتكلم باسم الدولة لا باسم شخصه كما يتوهم بعض الناس ؛ أي أن تعليماته تحترم و تطبق على جميع مستويات الحياة الاجتماعية و الاقتصادية و العلمية بدرجة أكير .

بعد أن تم نسخ المصاحف ، قام عثمان بن عفان _ رضي الله عنه _ بإعادة الصحف إلى حفصة ، ثم إرسال نسخة لكل مصر من أمصار الدولة معها قارئ يعلم الناس

[1]. كتاب المصاحف، السجستاني، ص 208.

[2]. صحيح البخاري، البخاري، ، ص 992 .

[3]. فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام ، ص 96/2 .

لأن " الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب و الصدور لا على حفظ المصاحف و الكتب فهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة " [1] لكن اختلف في عدد النسخ فرأى أكثر العلماء و الأئمة أنها أربعة نسخ ؛ أرسل بواحدة إلى الكوفة ، و أخرى إلى البصرة و ثالثة إلى الشام ، و احتفظ بنسخة معه . و هناك من قال أنها سبع نسخ إضافة إلى الأربعة السابقة وجه خامسة إلى مكة ، وسادسة إلى اليمن ، و سابعة إلى البحرين . [2] و جردت هذه المصاحف جميعها من النقط و الشكل ليحتملها ما صح نقله و ثبت ت تلاوته عن النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط ... فكتبت المصاحف على اللفظ الذي استقر عليه في العرضة الأخيرة عن رسول الله ـ صلى الله عليه و سلم " [3] وهذا يعني أن المصحف العثماني احتوى على حرف واحد من حروف القرآن وهو حرف قريش الشامل لكل القراءات العشرة كما سنرى في المبحث الثاني . و مهما يكن عدد النسخ التي كتبت فإنها قد حلت المشكلة و أنهت الأزمة التي كانت على وشك النشوب داخل الأمة الإسلامية .

و أخيرا و ليس آخرا ، أصدر عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ الأمر بإحراق المصاحف الموجودة مع الصحابة سوى المصحف الذي بقي مع حفصة ـ رضي الله عنها ـ كما ذكر سابقا في حديث أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ، و قد سمع عن علي بن أبي طالب ـ كرم الله و جهه: " يا أيها الناس ، لا تغلوا في عثمان ، و لا تقولوا له إلا خيرا في المصاحف ، و إحراق المصاحف ، فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا جميعا ... و الله لو وُلِّيتُ لفعلت الذي فعل " [4] و معنى هذا الحديث أن عثمان ـ رضي الله

---

[1]. النشر في القراءات العشر : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، تصحيح : علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان، د ط ، د ت ، ص 06/1 .

[2]. ينظر، المقنع في رسم مصاحف الأمصار ، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، تح : محمد الصادق قمحاوي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ـ مصر، د ط، د ت، ص 19 .

[3] . النشر في القراءات العشر ، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي، ص 1/ 7، 8 .

[4]. كتاب المصاحف ، السجستاني ص : 207 ـ 208 .

عنه ـ كان يستشير الصحابة في كل عمل يقوم به، و لم تكن قراراته فردية معزولة و يشمل ذلك كل ما يهم المسلمين بما فيها قضية حرق المصاحف؛ التي لاقت استحسان و قبول كبار الصحابة على رأسهم علي ـ كرم الله وجهه ـ و كذلك استحسن الجميع هذا القرار في رواية مصعب بن سعد قال : " أدركت الناس حين شقق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ، أو قال : لم يعب ذلك أحد " [1]

نزول القرآن بلغة قريش و حججه:

[1]. المقنع في رسم مصاحف الأمصار : أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ، تح : محمد الصادق قمحاوي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة . مصر، دط ، دت ، ص 18 .

لطالما أثار موضوع اللغة التي نزل بها القرآن إشكالا كبيرا ، و تعددت الآراء في ذلك ونجدها قد ثبتت على ثلاثة أراء مهمة ، أولهما أن اللغة التي نزل بها القران هي اللغة العربية بما تحمله من لهجات . و ثاني الآراء ، هو نزول القران بلغة قريش وبعض لغات القبائل، و أما الرأي الأخير، فذهب إلى أنّ القرآن نزل بلغة قريش. و في ظل هذه الآراء سوف نستعين بالجدول الآتي الذي يبين لنا اللغات الموجودة في القرآن و أيها كان حضوره أكثر على الترتيب .

اسم القبيلة	عدد الألفاظ	اسم القبيلة	عدد الألفاظ
قريش	104	طيء ، مذحج ، مدين، غسّان	005
هذيل	045	بنو حنيفة ، حضر موت ، أشعر	004
كنانة	036	أنمار	003
حمير	023	خزاعة ، بنو عامر، لخم ، كندة، سبأ، أهل اليمامة ، مزينة ، ثقيف	002
جرهم	021		
تميم ، قيس ، عيلان	013	العمالقة ، سدوس ، سعد العشيرة	001
أهل عُمان، أزد شنوءة، خثعم	006		

[1] . اللغات في القرآن، أخبر عنه إسماعيل بن المقرئ عن عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس تح: صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة ، القاهرة . مصر . ط1، 1946، ص 6 .

و بإسقاط تلك الآراء على الجدول، نلاحظ أنها متقاربة في وجهة نظرها ؛ فالرأي الأول يقول بتوفر القرآن على جميع اللغات، و الجدول ضم معظمها، و هنا لا يمكن نفي هذا الاحتمال. و ثاني الآراء يتوافق مع الجدول أيضا؛ فلغة قريش و اللغات الأخرى موجودة فيه. و آخر الآراء، نزول القرآن بلغة قريش ، و هذا على سبيل التغليب لأنها أكثر حضور ا في الجدول و هو الرأي الأكثر توافقا .

و تتحدث الكثير من المصادر في هذا السياق ،على نزول القرآن بلغة قريش ، فالبخاري في صحيحه تحدث عن ذلك في كتاب فضائل القران، باب: نزل القرآن بلسان قريش و العرب ، وأورد هذا النص : "... فأمر عثمان : زيد بن ثابت ، و سعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير، و عبد الرحمن بن الحارث بن هشام، أن ينسخوها في المصاحف . و قال لهم : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في عربية من عربية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإنّ القرآن أنزل بلسانهم ، ففعلوا " [1] ، وقد كان سبب هذا الترخيص هو قدوم حذيفة على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام مع أهل العراق في فتح أرمينية و أذربيجان ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القرآن فقال لعثمان : يا أمير المؤمنين ، أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب ، كما اختلف اليهود و النصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك، وأمرهم بان يكتبوه بلسان قريش إن حدث اختلاف في عربيته [2]

و من خلال كلام سيدنا عثمان نلاحظ إشارة واضحة على أن القر آن نزل بلغة قريش واعتبر أن لغة قريش هي المرجع . و يمثل كلام سيدنا عثمان السلطة و الدولة ، فحكمه

[1]. صحيح البخاري : البخاري : ص 991 .

[2]. ينظر: فضائل القرآن، أحمد بن شعيب النّسائي ، تح: فاروق حمادة، دار إحياء العلوم بيروت، الشركة الجديدة دار الثقافة، الدار البيضاء . المغرب، ط2، 1992، ص 67 .

بقرشية القرآن نابع من سلطة (خليفة)، و يمكن أن نفهم من كلامه أيضا، المكانة المميزة للغة قريش عند العرب.

كما ذكر صاحب اللسان في معجمه أن اللغة التي نزل بها القرآن هي لغة قريش، و ذلك في مادة (عرب) فقال : " ... وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أنه قال : قريش هم أوسط العرب في العرب دارا، و أحسنه جوارا، و أعربه ألسنة . و قال قتادة : كانت قريش تجتبي، أي تختار، أفضل لغات العرب، حتى صار أفضل لغاتِها لغتُها فنزل القرآن بها ... " [1] فمكانة قريش الجغرافية بتوسطها شبه الجزيرة و مجاورتها للعرب الفصحاء و فصاحة لسانها جعلها تكون الأفصح بين العرب ، كما ساعد على ذلك أنها تنتقي من كلام العرب أحسن كلامها ، وهذا من عوامل تطور البيئة الحضرية كما يرى ابراهيم أنيس حيث يقول: و تتطلب حياة الحضر، العمل على تحسين النطق و تخيير العبارات ، مما يجعلهم مستعدين للإعارة و الاستعارة من ألفاظ اللغة و أساليبها .[2]

ودليل آخر على قرشية القرآن، يثبته قوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ))[3] و الرسول صلى الله عليه و سلم من قريش أي أنّ القرآن جاء بلسان الرسول أي بلغة قومه و قد كانت قريش أيضا تجمع القبائل و سميت أهل الله لأنهم الصريح من ولد إسماعيل عليه السلام، وإذا أتتهم الوفود من العرب تخيروا من كلامهم و أشعارهم أحسن لغاتهم و أصفى كلامهم ، فاجتمع ما تخيّرو همن تلك اللغات إلى نحائرهم و سلائقهم التي طُبعوا عليها فصاروا بذلك أفصح العرب [4].

---

[1] . لسان العرب، ابن منظور، مادة (عرب)، ج 1 ، ص 588 .

[2]. في اللهجات العربية : إبراهيم أنيس ، نشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، مطبعة أبناء وهبه حسان، 2003، دط ص 80 .

[3] . القرآن الكريم : رواية ورش : إبراهم : آية 4 .

[4] . ينظر : الصاحبي في فقه اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تعليق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان ، 1997 ، ط1 ، ص 28 .

استنتاج:

من خلال ما سبق ذكره، نستنتج ما يلي :

ـ إذا حكمنا على لغة القرآن أنها لغة قريش وحدها ، يكون في ذلك إجحاف في حق اللغات الأخرى ، وعليه نقول إن القرآن نزل بلغة قريش على سبيل التغليب لا الإطلاق .

ـ قول عثمان : " إذا اختلفتم أنتم وزيد ... فأكتبوها بلسان قريش ، فإنّ القرآن أنزل بلسانهم " يعني أنه يمكن أن تكتب القرآن بلغة أحد اللغات العربية إن لم يكن هناك اختلاف، و إنْ وقع وجب الرجوع إلى لغة قريش. ما يجعلها تمثل الوجه النموذجي للغة العربية.

ـ أما كلام أبو بكر الصديق و ابن قتادة يفسر لنا فصاحة لغة قريش، و الأهم من ذلك يبيّن لنا كيف أصبحت بهذه الفصاحة، و عليه يمكن إطلاق حكم أن لغة قريش لغة مشتركة تكونت بمساعدة كثير من العوامل ، مما جعلها مؤهلة إلى أن تكون لغة القرآن .

ـ و قوله تعالى: ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ)) يُفهم من ذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم أرسل إلى قريش بحكم لغته القريشية و إلى العرب أجمعين ، لأن قريش جزء من العرب ؛ أي أن لغة قريش هي الوجه الخاص و العربية هي الوجه العام ، و كما قال : الدكتور نصر الدين وهابي : " القرآن نزل بلغة العرب مطلقا و بلغة قريش غالبا " . [1]

[1] . التوجيه النحوي للشاذ في لغة القرآن الكريم (المتبوع منه و المدفوع) ، نصر الدين وهابي، سامي للطباعة و النشر و التوزيع، الوادي . الجزائر، ط1، 2016 . ص 48 .

تعريف اللحن:

جاء في مقاييس اللغة في مادة (لحن) " اللام و الحاء و النون له بناءان يدل أحدهما على إمالة شيء من جهته ، و يدل الآخر على الفطنة و الذكاء " [1]. و قد حصر ابن فارس معنى مادة لحن في معنيين : أولهما إمالة الشيء بمعنى انحراف الشيء عن مساره و الآخر يتعلق بالذكاء و الفطنة بمعنى ، الإنسان الذي يمتلك صفات ذهنية متميزة على غيره في التعامل.

و يقول صاحب اللسان " ... قال ابن الأثير : اللّحن من جهة الاستقامة، يقال : لَحَنَ فلان في كلامه إذا مال عن صحيح المنطق، أي العدول عن الطريق... و اللّحَن بفتح الحاء : الفطنة ". و قد روي أن القرآن نزل بلَحنِ قريش أي بلغتهم ... كما قال عز و جل (و لتعرفنهم في لَحْن القول) ، أي فحواه و معناه ". [2]

و يقال : " قد لحَّن في قراءته إذا طرّب بها" . و اللّحن هو الخطأ في الإعراب . [3]

و من خلال هذه التعريفلت اللغوية لمادة (لحن)، نلاحظ أنها جاءت بعدة معاني ، فجاءت بمعنى العدول و الميل عن طريق الصواب أي الخطأ ، وجاء بمعنى الفطنة و الذكاء و بمعنى اللغة و أيضا فحوى الكلام و معناه و جاء بمعنى أطرب .

و قد تخرج المعاني اللغوية في هذه المادة إلى أكثر مما تقدم ذكره، لكن المعنى المنشود هو معنى العدول و الخروج عن الصواب ، و الخطأ .

التعريف الاصطلاحي للّحن:

عند النحاة :

يمكن أن نعرف اللحن على أنه عيب لسانيّ يقوم على تحريف الكلام عن قواعد الصرف والنحو، كما يقوم على مخالفة النطق الفصيح واللفظ السليم،هذا التعريف يحصر اللحن في

[1] . مقاييس اللغة ، ابن فارس، كتاب اللام ، ص 5/ 239 .

[2] . لسان العرب ، ابن منظور، ص 13/ 380 .

[3] . المصدر نفسه : 386 .

معناه الانحراف والميل عن الصواب، إلى الخطأ في النطق والكتابة وعدم الالتزام بقواعد الصرف والنحو، وإنْ غلب إطلاقه على الأخطاء الإعرابية أكثر من الأخطاء الصرفية واللغوية العامة عند المتأخرين [1] . و هذا يقودنا إلى القول ، إلى أنّ اللحن هو خروج اللغة على أحد مستوياتها الثلاث : (الصوتي ، الصرفي ، التركيبي) و هذا ما يحدث تغيير في الدلالة .

عند علماء القراءة:

عرف إبراهيم محمد الجرمي اللّحن في معجمه بقوله : اللّحن (الخطأ) الذي يعرض للقارئ في تلاوته لكتاب الله الكريم . و اللحن قسمان :

اللحن الجلي (الواضح) :

هو الخطأ الذي يطرأ على اللفظ فيخلّ بعرف القراءة ، سواء أخلّ بالمعنى أ و لم يخل . و قد يكون بإبدال حرف بحرف أو حركة بحركة أو حركة بسكون ، و قد يكون بإسقاط حرف أو زيادته . [2] أي أن معنى اللّحن متعلق بقواعد القراءة ، بغض النظر عما يترتب عنه و يمكن القول ، إنه كل ما جاء منافيا لما نصت عليه القراءة فهو لحن.

اللحن الخفي :

خطأ يطرأ على اللفظ فيخل بعرف القراءة و لا يخلّ بعرف اللغة و لا بالإعراب . و هو خاص بالقراء وحدهم، لأنهم مختصون بمعرفته ، كزيادة زمن الغنة و تكرير الراءات و تفخيم الحروف و غيرها من الظواهر الصوتية .[3] و هنا يضيق معنى اللّحن أكثر، لأنه متعلق بفئة القُرَّاء فقط ، دون غيرهم .

---

[1] . اللحن في اللغة العربية أسبابه و أثاره و مصنفاته ، عبد القادر زرق الرأس و محمد حاج هني ، اللحن ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ، كلية الآداب و اللغات ، العدد 19 ، الشلف . الجزائر، جانفي 2018، ص 35،36 .

[2] . ينظر : معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، دار القلم دمشق، ط1، 2001، ص 233 .

[3] . ينظر : المصدر نفسه : ص : 233 .

و" اللّحن : وجه من وجوه القراءة غير المروية عن السلف " [1]. و هنا يربط التعريف اللّحن بالشذوذ .

و لأجل تعريف شامل للحن في القراءة نقول : إن اللحن هو تغيير في الكلمة إثر انحراف أو خطأ في النطق، يُخرج الكلمة عن مسارها ، و عن عرفها وقواعدها المعروفة، و المتفق عليها عند جمهور القراء، و قد اقترن هذا المصطلح بصفة خاصة بالقراء، الذين يقرؤون القرآن بقراءات شاذة، و خارجة عن قواعد القراءة، و ظهر هذا بعد جمع عثمان بن عفان للقرآن و توحيد رسم المصحف .

بدايات و أسباب ظهور اللّحن:

إذا تحدثنا عن بدايات ظاهرة اللحن بوجه عام في العصر الإسلامي ، فإنّ بداياته كانت في زمن الرسول صلى الله عليه وسلم ، و يذكر السيوطي ذلك في قوله : "... و اعلم أن أول ما اختل من كلام العرب و أحوج إلى التعلم الإعراب، لأن اللحن ظهر في كلام الموالي و المتعربين من عهد النبي صلى الله عليه و سلم ، فقد روينا أنّ رجلا لحن بحضرته فقال : أرشدوا أخاكم فقد ظل " [2] . و هذا دليل واضح على وجود اللحن في عهد الرسول صلى الله عليه و سلم ، لتمتد هذه الظاهرة و تستفحل في عهد الخلافة الراشدة ، ففي فترة خلافة عمر " كتب كاتب لأبي موسى الأشعري إلى عمر فلحن ، فكتب إليه عمر : أن اضرب كاتبك سوطا واحدا " [3]؛ فاللّحن انتشر حتى وصل المكاتبات الرسمية ، أي أنه وصل لأعلى مستوى في الدولة، و هذا ما يفسر تصرف عمر حيال ذلك .

و شواهد اللحن كثيرة جدا، فقد جاء في البيان والتبيين بعض الروايات على ذلك ، ومنها:

---

[1] . ينظر : هامش كتاب السبعة في القراءات ، ابن مجاهد ، ص 46 .

[2] . المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، جلال الدين السيوطي ، شرح و تعليق محمد أحمد جاد بك و آخرون، منشورات المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت ب ط ، 1986 ، ج2 ، ص 2/ 396.

[3] . المصدر نفسه: ص 397 .

ما رواه " أبو الحسن أنّ الحجاج كان يقرأ : إنّا من المجرمون منتقمون " [1]. فقد لحن في 'المجرمون' ، حيث يقول تعالى: ((إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ)) [2] لأنّ الأصل فيها الجرّ.

"و قال أبو الحسن : كان سابق الأعمى يقرأ : الخالقُ البارئُ المصوَّرُ ، فكان ابن جابان إذا لقيه قال : يا سابق ما فعل الحرف الذي تشرك بالله فيه ؟" [3] و في قوله تعالى : ((هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ)) [4]، فقرأ " المصوَّر" بفتح الواو على أنها اسم مفعول و الأصل ال كسر " المصوِّر"، لأنها اسم فاعل .

" قال : و قرأ : و لا تَنكحوا المشركين حتى يؤمنوا .قال ابن جابان : و إنْ آمنوا أيضا لم ننْكِحهم " [5] ، ويقول تعالى : ((وَلَا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا))[6] فقرأها بفتح تاء تنكحوا و الأصل فيها الضم ؛ لأن المقصود في نظر المفسرين هو لا تُنك حوا بناتكم للمشركين قراءتها بالفتح يلتبس المذكر بالمؤنث . [7]

وجاء في نزهة الألباب أنه قدم أعرابي في خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: من يقرؤني شيئا مما أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم ؟ فأقرأه رجل سورة براءة فقال : إن الله بريء من المشركين و رسولِه (بالجر) فقال الأعرابي : أو قد برئ الله من رسوله ؟ إنْ يكن الله برئ من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه... فقال : إنّ الله برئ من المشركين و رسولُه ، فقال الأعرابي : أنَا و الله أبرأ ممن برئ الله و رسوله منهم ... [8] أي أنّ الأعرابي سمع كلمة رسوله بجر اللام و هذا ما عطف براءة

---

[1] . البيان و التبيين، الجاحظ ، ص 218 .

[2] . القرآن الكريم : السجدة : آية 22 .

[3] . البيان و التبيين ، الجاحظ ، ص 219 .

[4] . القرآن الكريم : الحشر : آية 24 .

[5] . البيان و التبيين ، الجاحظ ، ص 219 .

[6] . القرآن الكريم : البقرة : آية 221 .

[7] . ينظر : حاشية البيان و التبيين ، الجاحظ ، ص 219 .

[8] . ينظر : نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال ابن الانباري، تحقيق ابراهيم السمرائي، مكتبة المنار الزرقاء الأردن ، ط 2 ، 1985 ص : 19 . 20 .

الله على الرسول، و الأصل فيها الرفع كما جاء في محكم التنزيل ((أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)) [1] على اعتبار أن "رسولُه " مبتدأ لخبر محذوف، " أي رسولُه بريءٌ . فحذف الخبر" [2] .

و يرجع تفشي اللحن بهذا الشكل إلى عدة أساب نذكر منها :

ـ اختلاط العرب و غيرهم من الأجناس ، وهذا إثر الفتوحات الإسلامية و اتساع رقعة الدولة مما جعلهم يحتكون بأمم و شعوب جديدة كالفرس و الروم . [3]

ـ اشتغال غير العرب من العجم بالعلم : فمجرد دخول الأعاجم الإسلام انكبوا على تعلم كل شاردة وواردة تخص هذا الدين بد ءا من لغته ، فانتقلوا إلى المدينة حاضرة البلاد الإسلامية وإلى مكة أيضا .

ـ إهمال النقط و الشكل في اللغة العربية : فقد كانت العربية تكتب دون شكل و لا نقط لاستغناء سليقة العربي عن هذه الأمور ، لكن العجم لم يكونوا كذلك فقد احتاجوا ما يضبط ألسنتهم .

و نذكر أسباب أخرى : الاختلاف في نطق الحروف من جيل إلى جيل و من شعب إلى شعب ، كصعوبة نطق بعض الحروف عند العجم .

ـ إهمال أولياء الأمور تصحيح أخطاء الأطفال اللغوية مبكرا ، [4]و اتخاذ المربيات من العجم. العجم.

---

[1] . القرآن الكريم : التوبة : آية 3 .

[2]. إعراب القرآن، الزجاج (منسوب إليه)، تحقيق ابراهيم الأبيارى، دار الكتب الاسلامية و آخرون، ط 2 ، 1982 ص 2/ 747.

[3]. ينظر: اللحن اللغوي و أثاره في الفقه و اللغة ، محمد عبد الله بن التمين ، دائرة الشؤون الإسلامية و العمل الخيري دبي . إدارة البحوث . الإمارات ، ط 1 ، 2008 ، ص 34 .

[4]. ينظر : اللحن اللغوي و أثاره في الفقه و اللغة ، محمد عبد الله بن التمين ، ص 35 ـ41 .

هذه مجمل الأسباب التي ساعدت اللحن على التفشي في اللسان العربي ، و يمكن أن تخرج عنها إلى أسباب أخرى ، ما يجعل من اللحن ظاهرة لغوية قد تفسد اللغة ، و اللغة مرتبطة بالقرآن، و بهذا يصبح ظاهرة مستقبحة عند العامة و الخاصة ، و جاء في البيان والتبيين في سياق هذا الكلام :" اللّحن في المنطق أقبح من آثار الجذريّ في الوجه "[1] .

بدايات اللحن في القراءات

أما بالنسبة للّحن في القراءات ، فيذكر الرافعي أن " أول من اشتهر من القراء بالشواذ و عُني بجمع ذلك و استقصائه و إظهاره دون الصحيح (لحن) ؛ أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي في أواخر المائة الثانية للهجرة ، فقد جمع قراءة نسبها إلى الإمام أبي حنيفة رحمه الله ، و منها (إنما يخشى اللهُ من عبادهِ العلماءَ) و قد أكذبوه و جعلوه مثلا بينهم في القراءات الموضوعة و المردودة "[2] ، وجاء في قوله تعالى((إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ))[3] بنصب لفظ ' الجلالة ' على أنه مفعول به ، و رفع ' العلماء' على أنه فاعل .

ومن القرّاء الذي شُهد لهم باللّحن ابن شنبوذ و قد كان المقرئ ببغداد لعصره ، و كان يعتمد شواذ القراءات ، فقد كان يقرأ بحروف مروية عن عبد الله بن مسعود و أُبيّ بن كعب تخالف مصحف عثمان ، حتى انتهى به الأمر برفعه الى ابن مقلة الوزير ، وضرب سوطا و حبس و كان ذلك في (323 هـ) فقد قرأ (و كان [أمامهم] ملك يأخذ كل سفينة [صالحة] غصبا)[4] و الآية في مصحف عثمان كما هو معروف ((وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا))[5].

---

[1] . البيان و التبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي ، القاهرة ـ مصر ط7 ، 1997، ص 2/ 216 .

[2]. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان ط 9 ، 1973 ص 56 . 57 .

[3] . القرآن الكريم : فاطر : آية 28 .

[4] . ينظر السبعة في القراءات ، ابن مجاهد ، ص 15 . 16 .

[5]. القرآن الكريم : ا لكهف :آية 79 .

وهناك مقرئا آخر اسمه محمد بن الحسن المعروف بابن مقسم العطّار ، قرأ بحروف تخالف إجماع القرّاء و الرواة مستخرجا لها وجها من العربية ، فقرأ (فلما استيئسوا خلصوا نُجباء) و هذا بعيد كل البعد عن المعنى [1]، و الآية تقول : ((فَلَمَّا اسْتَيْئَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا)) [2].

الإجراءات المُتخذة للقضاء على اللحن:

تحركت همم المسلمين عندما رأوا أن اللحن قد تفشى في الأمة، حرصا و خوفا على فساد لغة القرآن، فسارعوا إلى اتخاذ إجراءات تحد من تفشي و استفحال هذه الظاهرة.

و كانت كالتالي :

أولا: نقط نقاط الإعراب ونقاط الإعجام : كان العرب قديما يتكلمون على السليقة و الضابط في كلامهم هي الطبيعة، لا يمكن الخروج عليها ، و لكن اختلاطهم بالأعاجم جعلهم يحتاجون إلى ضابط للغة، و عليه قد اختار أبو الأسود الدؤلي (62 هـ) رجلا من عبد قيس ؛ " فقال خذ المصحف و صبغا يخالف لون المداد . فإذا فتحت شفتيّ / فانْقُطْ واحدةً فوق الحرف، و إذا ضممتُه ما فاجعل النقطة إلى جانب الحرف، و إذا كسرتُهما فأجعل النقطة في أسفله، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غُنّةً فالنقط نقطتين.(يريد بالغنة التنوين) " [3] وما فعله أبو الأسود هو نقط الإعراب ، ال ذي يبين أحوال أواخر الكلم بعلامة لونها مغاير للون الكتابة، لكن هذه الطريقة لم تكف لقطع اللحن في اللغة ، و لذا فقد انتدب الحجاج بن يوسف (95 هـ) يحي بن يعمر العدواني(90 هـ) ، للقيام مع نصر بن عاصم (90 هـ) بجعل نقاط فوق الحروف بنفس مداد الكتابة [4] ، متفقة مع نقاط أ بي الأسود في

---

[1] . ينظر : السبع في القراءات ، ابن مجاهد ، ص 16 .

[2] . القرآن الكريم : يوسف : آية 80 .

[3] . المحكم في نقط المصحف، أبو بن عثمان سعيد الداني ، تحقيق عزة حسن، دار الفكر ، دمشق . سوريا ، ط 2 1997 ص 4 .

[4]. ينظر: قصة النقط و الشكل في المصحف الشريف ، عبد الحي الفراماوي ، دار النهضة العربية بالقاهرة ، دط 1978 ، ص 82 . 83 .

شكلها ، شرط أن لا تتعدى ثلاث نقاط . لتتم عملية وضع نقاط الإعجام . ليأتي بعدهم الخليل بن أحمد الفراهيدي (175 هـ) فيهتدي بتفكيره إلى مغايرة بين نقط الإعجام و نقط الإعراب بشيء غير لون المداد، و بذلك يتحد اللون في كتابة الكلمات ونقطها سواء كان نقط إعراب أو إعجام تسهيلا للأم ر و تيسيرا للكاتب، فأبدل النقط التي وضعها أبو الأسود للدلالة على الحركات الإعرابية ، وكذلك النقط التي وضعها نصر بن عاصم تعميميا لنقط الإعراب على كل كلمة . و أضاف على ذلك السكون الشديد و الخفيف . [1] وهذا الإجراء يساعد الوافدين على الدين الجديد غير المتكلمين باللغة العربية .

ثانيا : وضع قواعد لحفظ اللسان: استنبط أُ لي الحِلم من مجاري كلامهم قوانين لملكاتهم اللغوية المطرة و يقيسون عليها سائر أنواع الكلام ، فقيدوها بالكتاب ، وجعلوها صناعة لهم مخصوصة، و اصطلحوا على تسميتها بعلم النحو، و أول من كتب فيها أبو الأسود الدؤلي بإشارة من علي رضي الله عنه، خوفا على الملكة ، وكتب الناس في هذا العلم إلى أن انتهى إلى الخليل بن أحمد ، فهذب الصناعة و كمل أبوابها ، و أخذها عنه سيبويه فكمل تفاريعها و استكثر من أدلتها و شواهدها ، ووضع كتابه المشهور الذي أصبح إماما لكل من كتب في هذا العلم . [2]

ثالثا : جمع مفردات اللغة في دواوين : كانت ألفاظ القرآن مادة كبيرة من مواد اللغة اجتهد العلماء في تحديد معانيها و كانت حافزا لهم على الرحلة و الرواية لتبيين مدلولها ... و كان العلماء يسمعون لأهل البادية؛ و كثيرا ما كانو يخرجون و يمضون الأعوام فيها ، و يخالطون الأعراب و يؤاكلونهم و يشاربونهم ، و يدونون ما يسمعون منهم في شتى الأمور فيسمعون الرجل و المرأة و الغلام يتحدثون في الإبل و المرعى و الزواج ، و ينقلون عنهم و هكذا

[1] . ينظر : المرجع السابق : ص 94 ، 95 .

[2] . ينظر: ابن خلدون : المقدمة ، ج2 ، ص : 368 . 369 .

كانت بدايات جمع اللغة بمشافهة الأعراب الأقحاح . [1] و قد حُصرت المصادر التي يستقي منها اللغوي مادته في : القرآن الكريم، و قراءاته ، و الحديث النبوي ، و الشعر و الشواهد النثرية [2].

ومن الطبيعي كما يقول أحمد أمين أن يسير الجمع في مراحل ثلاث :

المرحلة الأولى ـ يمكن القول عنها مرحلة الجمع العشوائي ، حيث يجمع العالم كل ما يسمع في أي موضوع كان دون ترتيب ، فيسمع مثلا كلمة في اسم السيف و أخرى في الزرع و أخرى في المطر .

المرحلة الثانية ـ كان فيها الجمع أكثر تنظيما عن ما قبله ، فيتم جمع الكلمات المتعلقة بموضوع واحد ، بما يعرف : رسائل الموضوعات ، مثل كتاب المطر لأبي يزيد و كتاب اللبن و غيرها . [3]

المرحلة الثالثة ـ وضع معجم يجمع كل الكلمات في اللغة على نحو خاص ، أي معجم شامل ، و أول من أبدع في هذا الموضوع الخليل بن أحمد [4] ، بمعجمه العين الذي يعتمد على الترتيب المخرجي في تصنيف مادته ، وفق منهج إحصاء تام لمفردات اللغة .

رابعا : التأليف في اللحن : أراد العلماء تطويق هذه الظاهرة بعدة تآليف ، قصد حصر أكثر عدد من المفردات الخاطئة ، و سنسرد جملة منها فيما يلي :

1 ـ " ما تلحن فيه العامة "، لأبي الحسن علي بن حمزة الكسائي (189 هـ) .

2 ـ " ما يلحن فيه العامة "، لأبي الهند أبي كلاب بن حمزة العقيل (200 هـ) .

---

[1] . ينظر : ضحى الإسلام ، أحمد أمين الهيئة ، المصرية العامة للكتاب . مصر ، 1998 ، 2 ، د ط، ص 2/ 255 . 256.

[2] . البحث اللغوي عند العرب، أحمد مختار عمر ، ص 18 .

[3] . ينظر : ضحى الإسلام، أحمد أمين: ص 263، 264 .

[4] . ينظر: المرجع نفسه : 265 . 266 .

3 ـ " لحن العامة " ، لأبي زكريا الفراء (207 هـ) .

4 ـ " ما يلحن فيه العامة " لأبي عبيدة معمر بن المثنى(210هـ) .

5 ـ " ما تلحن فيه العامة "، للأصمعي عبد الملك بن قريب (ت216 هـ) .

6 ـ " ما خالفت فيه العامة لغات العرب" : "لأبي عبيد القاسم بن سلام(ت224هـ) .

7 ـ " ذيل الفصيح لموفق الدين "، عبد اللطيف البغدادي (ت229 هـ) .

8 ـ " ما يلحن فيه العامة "لأبي نصر محمد بن حاتم الباهلي (231 هـ) .

9 ـ " إصلاح المنطق "لأبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت (ت 244هـ) . [1]

كان ظهور اللّحن ـ الشذوذ ـ عند القرّاء متأخرا نوعا ما عن اللحن في اللغة و رغم تلك الإجراءات المتخذة للحفاظ عن اللغة ، لم تسلم القراءات من الشذوذ الذي طالما ارتبط معناه باللحن، فوضع المختصون ضوابط للقراءة المقبولة، والتي ذكرها ابن الجزري في كتابه النشر بقوله: " هو ما اجتمع فيه ثلاث خلال و هن أن ينقل عن الثقات عن النبي صلى الله عليه و سلم و يكون وجهه في العربية التي نزل بها القرآن سائغا موافقا لخط المصحف ."[2]

[1] . ينظر: قضية اللحن في اللغة العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، إشراقة نور الدين الصافي محمد : . رسالة ماجستير منشورة . جامعة الخرطوم ، 1997 ، ص : 59 ، 60 ، 61 .

[2] . النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري: ص 14.

القراءات و النحو قبل القرن الرابع الهجري:

كان ظهور القراءات متقدم عن النحو، و هذا يرجع لأسباب وجود كل منهما، حيث إنّ القراءات ارتبط ظهورها بنزول القرآن، أما ظهور النحو فقد ارتبط ظهوره بظهور اللحن و هذا الأخير ظهر بدخول الأعاجم الإسلام، و وجود القراءات ضمن مصادر اللغة عند العرب يعكس أهميتها لدى اللغويين، لكن هذه الأهمية تتباين عند النحاة، و هذا راجع إلى نظرتهم للقراءات على أنها مادة لغوية يجب أن تتوفر فيها المعايير الموضوعية، حتى يمكن الاستشهاد بها، فنجدهم قد انقسموا إلى فريقين هما:

أولا : فريق المحايدين: يقول إبراهيم أنيس: " أما موقف النحاة من القرّاء فكان في أول الأمر مهادنة، لا يعرضون للقراءات بخير أو شر، لأن من أئمة النحو كانوا أيضا أئمة في القراءات القرانية "[1] ، أي أن هذه الطبقة كانت من أوائل النحاة الذين كان لهم الفضل في تقعيد النحو، و تبيين معالمه. و إضافة إلى ذلك، لم يُشهد لهذه الفئة المتقدمة الطعن أو التجريح في القراءات، و أشهر النحاة المحايدين : " عبد الله بن إسحاق الحضرمي (ت 117هـ)، عيسى بن عمر الثقفي، يونس بن حبيب (ت 183هـ)، الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت175)"[2] . أما المدارس النحوية التي عُنيت بالقراءات، "فكانت مدرسة الكوفي التي اعتبرتها مصدرا هاما من مصادر احتجاجها" [3]، لكن هذا لا يمنع مع وجود بعض الأعلام الذي رفضوا بعض القراءات، سيأتي ذكرهم في الفريق الثاني .

---

[3] . مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، شعبان صلاح، دار غريب للطابعة و التوزيع دط،2005 ، ص 111 .

[4] . مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر، ط 2، 1958 ص337.

ثانيا : فريق القياسيين : هذا الفريق الذي وضع مسطرة القياس على كل ما يتعلق باللغة و قد شملت هذه المسطرة القراءات القرآنية، و لم يشفع لها أنها كلام الله المنزل على نبيّه مما جعلهم يعاملونها مثلها مثل باقي مصادر اللغة، و كثيرا ما نجد في كتبهم مصطلحات تطعن أو ترفض بعض القراءات، فنجد مثلا: أنكر، و لّحن، و غلط، و وهم، لا يجوز و غير جائز، مردودة، و مستبعدة [1]، وغيرها منها مصطلحات الرفض و عدم القبول، و نجد في هذا الفريق، أبو عمر بن العلاء(ت 153)، و سيبويه(ت 180هـ)، و الكسائي(189هـ) و أبو زكرياء الفراء(ت 207هـ)، و الأخفش (سعد بن مسعد) (ت 211هـ)، و المبرّد (ت285هـ)، و ثعلب(ت 291هـ) [2]، مما يبدو أن النحاة أرادوا أن يقعدوا للغة سليمة قياسية تخضع لنظام واحد، و هذا ما جعل النحو يتغوّل و لا يدري أين تنتهي صلاحياته أو مهامه فأصحاب هذه الصنعة تمادوا في تشددهم، و لم يسلم من سوطهم أحد، من شعراء و أدباء، و حتى القرّاء كانوا ضمن قائمة من المُنتقدين، ولم يراعوا خصوصية النص القرآني، فعاملوه مثل ما يعاملون الشعر، فكثير من هؤلاء النحاة يسيئون الظن بالقرّاء ولا يجوز لهم ذلك، و الواجب قبول ما نقلوه إلينا [3] على حد قول أبي حيّان، و كانوا يستطيعون أن يغيروا لهجة التعامل مع القراءات، خاصة تلك المصطلحات المذكورة سالفا، فبدلاً من قولهم خاطئ أو غلط، باستطاعتهم أن يقولوا إنها لغة، في حال عدم قبولها للاستشهاد بدل تخطئتها و الطعن فيها.

الخلاف المنهجي بين القرّاء و النحاة:

إن العلاقة بين القراء و النحاة علاقة قوية جدا، وفي بعض الحالات لا نستطيع الفصل بينهما، و من المعلوم أنّ كثيرا من جهابذة النحو كانوا قرّاء، و رغم تلك العلاقة، ظهرت

[1]. ينظر: قراءة في نحو القراءات من الفاتحة إلى الكهف . دراسة دلالية . حبيب بو سغادي، رسالة دوكتراه ، جامعة وهران كلية الآداب واللغات الفنون، قسم اللغة العربية، موسم 2012، 2013 ، ص 243 . 246 .

[2] . ينظر: مواقف النحاة من القراءات القرآنية ، شعبان ، ص 135، 140، 165، 170، 194، 203، 209.

[3]. ينظر البحر المحيط ، ابن حيان الأندلسي ، دار الفكر للطباعة بيروت . لبنان ، ط1 ، 2010 ، 15/5 .

خلافات بين القراء و النحاة، بسبب الاختلاف المنهجي بينهما، و لو قمنا بمقارنة بين منهجهما و غايتهما ، لوجدنا أن الاختلاف يبدأ من نقطة انطلاقهما، فمنهج القراء يعتمد على :

أ ـ النقل و الرواية : فقراءة القرآن سنة يأخذها الآخر عن الأول . و هكذا حتى تنتهي إلى الرسول صلى الله عليه وسلم. يقول عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ " يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَءُوا كَمَا عُلِّمْتُمْ " .[1] وكلام عليّ رضي الله عنه واضح جليّ، حيث يبين لنا إلزامية نقل القراءة كما هي بدون قياس أو تصرّف.

ب ـ العرض و الأداء : هو نقل النصوص بكل ظواهرها اللغوية، و قد كان النبي صلى الله عليه وسلم شديد التثبت لنصوص الوحي، و لأدائه، و جاء في مقدمة إتحاف الفضلاء: "و المقرئ: من عمل بها أداءً، و رواها مشافهةً، فلو حفظ كتابا امتنع عليه إقراؤه بما فيه إنْ لم يشافهه من شُوفه به مسلسلا لأنّ القراءة شيء لا يحكم إلا باسماع و المشافهة... و المقصود كيفية الأداء".[2]

أما منهج النحاة فيتمثل في:

1. السماع: و هذا المنهج استعمل للحفاظ عن اللغة حين هموا بجمعها، و سبق ذكره فيما مضى، و هذه الخطوة يشترك فيها النحاة و اللغويون، مع التقيد بزمان و مكان السماع .

2. القياس: وهو " حمل غير المنقول على المنقول في حكم لعلة جامعة"[3] ، أي حمل ما لم يُسمع على ما سُمِع، و اعتمدوا على كل ما هو مطرد شائع.

ومن هذه الاختلافات المنهجية تتضح لنا عدة نقاط اختلاف جوهرية، وهي :

أولا: في المادة المعتمدة:

---

[1]. جامع البيان في القراءات العشرة، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، ط1، 2005، ص 36 .

[2] . إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، عبد الغني الدمياطي، وضع حواشيه أنس مهرة ، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، طَ1 ، 1997، ص 6، 7.

[3] . في أصول النحو ، سعيد الأفغاني ، المكتب الإسلامي بيروت . لبنان ، دط، 1987، ص 78.

ـ فمادة القراء هي النص القرآني و هو أبلغ و أفصح نص ، نقل إلينا بعناية شديدة، نقلا و رواية ثم عرضا و أداءً[1]. وكأنّه نقل بالتلقين.

ـ أما مادة النحويين، فتتمثل في مسموعات العرب مشافهة كانت، أو سماعا منهم و السماع وحده لا يكون كافيا في نقل الظواهر اللغوية ـ صوتية و صرفية ـ بصورة دقيقة.

أما بالنسبة للمرويات من شعر و ونثر، فقد تعرضت للانتحال و النسيان، قبل التدوين و بعده ظهر التصحيف و التحريف. [2]

ثانيا: في عملية النقل :

ـ ناقل القراءات لا يتدخل و يتصرف في النص، و إنما ينقله كما أخذه عن شيخه، و لهذا نجد أن إحدى صفات القرّاء هي الأمانة . [3] أي عدم التصرف في المنقول، بأي شكل من الأشكال.

ـ أما النحويون فلاعتمادهم عن التقعيد و القياس فقد كانوا يتدخلون في النص، فالتركيب إن لم يخضع للقاعدة أو الحكم أو القياس،لذلك لجؤوا إلى التقدير و التاويل .[4]

مدى تنوع اللغة :

ـ لم تقتصر قراءة القرآن بلهجة واحدة، وإنما أعطيت الرخصة بقراءته بعدة قراءات، مادامت منقولة عن الرسول صلى الله عليه وسلم أو مقروءة عليه، فجاءت تضم مستويات الأداء اللغوي للعرب دون حذف أو إهمال ، فهي تمثل اللسان العربي بلغته الفصيحة و لهجاته .

ـ و أما النحويون فلغتهم تم تحديدها زمانيا و مكانيا، و إضافة عليه فقد خلطوا بين مستويات الأداء اللغوي، فهم لم يحددوا مستوى الفصيح ثم مستويات اللهجات، و لم يكن لهم تحديد علمي لمصطلحات المطرد و الشائع و الكثير و القليل، و هذا كله أثّر في وضع

---

[1] . ينظر: النحويون و القراءات القرآنية، زهير غازي زاهد، مجلة آداب المستنصرية ، بغداد . العراق، العدد 15، 1987 ص 117

[2] . ينظر المرجع نفسه : ص 117 ، 118 .

[3] . ينظر: النحويون و القراءات القرآنية ، زهير غازي زاهد، ص 118.

[4] . ينظر: المرجع نفسه : ص 118 .

القواعد ، وكان من آثاره التأويل و التقدير لما لم يستطيعوا رفضه وهو يخالف القاعدة مما جعل الكثيرين يتعجبون من عدم قبول النحويين لبعض القراءات، و قد يستشهدون ببيت مجهول القائل .[1]

ومن خلال هذه النقاط السابق ذكرها، نلاحظ اختلافا منهجيا كبيرا بين القرّاء و النحويين نتج عنه تنافرا كبيرا بينهما، و المشكل في رأيينا هو عدم معرفة الحدود، فعمل النحوي كما هو معروف في اللغة كمادة مهما كان نوعها أو مصدرها، و العمل يكون بقاعدة موضوعة قصد إنشاء لغة قياسية، أي أنهم يشتغلون على جزء من اللغة، و بالتالي هذه القواعد ستوافق جزءا من اللغة لا كلّها، و هذا لا يعني أن كلّ ما لا يدخل في هذا الجزء رديء أو لحن أو مرفوض أو شاذ ، و نقول إن القاعدة عاجزة على جمع كل اللغة تحتها، لأن اللغة و ببساطة أوسع من تلك القواعد الموضوعة، وهذا ما نلاحظه في تعامل النحويين مع القراءات، لأنّ هذه الأخيرة أوسع من قواعدهم.

و خلاصة لهذا الفصل، أنه يمكن القول إنّ جمع عثمان للقرآن، و توحيد رسمه، و إرشاده إلى الاستعانة بلغة قريش أثناء كتابته، يُعتبر بمثابة مرحلة أولى للاحتجاج له و لقراءاته، لكونه عملا إلزاميا، صادرا عن أعلى سلطة في الدولة.

[1] . ينظر المصدر السابق: ص 118، 119.

الفصل الثاني : الاحتجاج للقراءة بعد التّسبيع

المبحث الأول: الاحتجاج للقراءة السبعية

- الاحتجاج للقراءة عند ابن مجاهد في كتابه " السبع في القراءات"
- الاحتجاج للقراءة عند أبي علي الفارسي في كتابه " حجة القراءات السبع":

المبحث الثاني: الاحتجاج للقراءة غير السبعية

- الاحتجاج للقراءة الشاذة عند ابن جني في كتابه"المحتسب"

الاحتجاج للقراءة عند ابن مجاهد في كتابه " السبع في القراءات":

1ـ ترجمة ابن مجاهد

هو الإمام المقرئ المُحدِّث النحوي شيخ المقرئين، و شيخ الصنعة، أول من سبّع السبعة وأبو بكر أحمد بن موسى بن العبّاس بن مجاهد البغدادي ولد سنة خمس و أربعين و مائتين بسوق العطش في بغداد، و توفي يوم الأربعاء وقت الظهر في العشرين من شعبان سنة أربع و عشرين و ثلاثمائة، ودفن في حريم داره [1].

يقول أبو عمرو الداني: "فاق ابن مجاهد في عصره سائر نظائره من أهل صناعته، مع اتساع علمه، و براءة فهمه، و صدق لهجته، وظهور نسكه، تصدر الإقراء في حياة محمد بن يحيى الكسائي الصغير".[2]

2ـ شيوخه:

سمع الحديث من :" سعدان بن نصر و أحمد بن منصور الرمادي، و محمد بن عبد الله المخرمي، و أبى بكر الصغاني، و عباس الدوري.

قرأ القرآن على: أبي الزعراء بن عبدوس، و قَنْبُل المكي، و عبد الله بن كثير المؤدّب".[3]

---

[1] . ينظر ترجمة ابن مجاهد في:

ـ الفهرست، ابن النديم، دار المعارف بيروت ـ لبنان، د ط، د ت، ص 47 .

ـ تاريخ مدينة السلام، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تح : بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي للنشر بيروت ـ لبنان ، ط1، 2001، ص353/7 . 356 .

ـ معجم الأدباء، ياقوت الحموي الرومي، تح : إحسان عباس، دار الغريب الإسلامي للنشر ، بيروت ـ لبنان، ط 1، 1993 ص 520/2 . 523 .

ـ سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله بن عثمان بن قايماز الذهبي، تح: حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، دط 2004ص 1020/1.

ـ معرفة القرّاء الكبار على الطبقات و الأعصار، أبو عبد الله بن عثمان بن قايماز الذهبي، بشار عوّاد معروف وآخرون مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر، بيروت . لبنان، ط2، 1988، ص 269/1 ـ 271.

ـ غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الد ين علي بن الجزري، تحقيق، برجستراسر، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان ط1، 2006، ص 1/ 128 ـ 130 .

[2] . معرفة القرّاء الكبار ، الذهبي، ص 280/1.

[3] . المرجع نفسه، ص 280.

و روى الحروف على : إسحاق بن أحمد الخزاعي، ومحمد بن عبد الرحيم الأصفهاني و محمد بن إسحاق أبي ربيعة ، و محمد بن يحي الكسائي، وأحمد بن يحيى بن ثعلب وآخرون .

3ـ تلاميذه:

أبو طاهر عبد الواحد، و صالح بن إدريس، وأبو الفرج الشنبوذي إبراهيم بن أحمد الحطّاب و إبراهيم بن عبد الرحمان بن أحمد، وأحمد بن إبراهيم بن عبد الله الجلاء، وأحمد بن بدهن وأحمد بن جعفر الخلال، و احمد بن صالح، و الحسن بن أحمد بن عبد الغفار أبو علي الفارسي، وكثير هم من أخذوا عنه، فقد كان يجتمع في حلقته نحو ثلاثمائة من التلاميذ.[1]

4ـ مؤلفاته:

ألف العديد من الكتب منها: " كتاب السبعة في القراءات، وكتاب القراءات الكبير وكتاب القراءات الصغير، وكتاب الياءات، وكتاب الهاءات، وكتاب قراءة أبي عمرو، و كتاب قراءة ابن كثير،و كتاب قراءة عاصم، وكتاب قراءة نافع، وكتاب قراءة حمزة، وكتاب قراءة الكسائي، وكتاب قراءة ابن عامر، وكتاب قراءة النبي صلى الله عليه وسلم"[2].

تأليف كتاب" السّبعة " :

مما لا شك فيه أنَّ لكل مُؤلَّف هدفا و غاية تدفع صاحبه لتأليفه، بُغية تحقيق تلك الغاية و كتاب " السبعة في القراءات " ليس استثناءا لذلك ؛ إذ أنْ ابن مجاهد دفعته الظروف التي كانت سائدة في مجتمعه إلى تأليف كتابه ، و هذا ما نستشفه من كلامه في مقدمة الكتاب عن أصناف القراء و حملة القرآن.

يقول ابن مجاهد : " و حَمَلَة القرآن متفاضلون في حمله ... فمن حملة القرآن المُعرب العالم

[1] . ينظر: غاية النهاية في طبقات القرّاء، ابن الجزري، ص 128. 129.

[2] ـ الفهرست، ابن النديم، ص 47 .

بوجوه الإعراب و القراءات العارف باللغات و معاني الكلام البصير بعيب القراءات المُنتقد للآثار ، فذلك الإمام الذي يفزع إليه حفُّاظ القرآن في كل مصر من أمصار المسلمين " [1] و معنى هذا أن ابن مجاهد يرى أن الإمام الحق في القراءات من يكون متضلعا من النحو و الإعراب، و لهجات العرب و سننها في الكلام . إضافة إلى تفقهه في علم القراءات وعلم رواية الحديث .

الصنف الثاني : يقول فيه : " و منهم من يُعربُ ولا يلحن و لا علم له بغير ذلك " [2] و هذا النوع الذي يتحدث عنه ابن مجاهد _ من حملة القرآن _ هم النحاة العالمين بأوجه الإعراب و النحو ، و لا قسط لهم من علم القراءات ، وليس لهم من علم الرواية شيء .

الصنف الثالث : يقول : " و منهم من يؤدّي ما سمعه ممن أخذ عنه ليس عنده إلا الأداء لما تعلم ، لا يعرف الإعراب و لا غيره ، فذلك الحافظ فلا يلبث مثله أن ينسى إذا طال عهده ... و تشتبه عليه الحروف ، فيقرأ بلحن لا يعرفه ، و تدعوه الشبهة إلى أن يرويه عن غيره و يبرّى نفسه ... فيُحمل ذلك عنه ، و قد نسيه و وَهَمَ فيه ... فذلك لا يُقلد القراءة و لا يُحتج بنقله "[3] و هذا النوع من حملة القرآن غير مؤهل للإقراء على الرغم من علمه بالقراءات و كيفية أدائها الصوتي ، إلا أنه يفتقر إلى النحو ، و سنن العرب في كلامها و نتيجة لطول الزمن يكون معرضا للنسيان و الوهم ، و بالتالي اللحن في القراءة .

الصنف الرابع : يقول عليه : " و منهم مَنْ يُعرب قراءته، و يُبصر المعاني، و يعرب اللغات و لا علم له بالقراءات و اختلاف الناس و الآثار ، فربما دعاه بصره بالإعراب إلى أنْ يقرأ بحرف جائز في العربية لم يقرأ به أحد من الماضين فيكون بذلك مبتدعا " [4]، و يذهب ابن

---

[1] . كتاب السبعة في القراءات ، أبو بكر بن مجاهد ، تح : شوقي ضيف ، دار المعارف ، القاهرة . مصر ، دط، 1972م ص 45 .

[2] . الصدر نفسه : ص 45 .

[3] . المصدر نفسه : ص 45 ، 46 .

[4] . المصدر السابق: ص 46 .

مجاهد إلى أن هذا النوع من حملة القرآن لديه دراية بالإعراب و النحو و لهجات العرب لكن ليس له حظ من القراءات، و بالتالي لا تُؤتمن سريرته لأنّه قد يغير في القراءات بما ليس فيها بحجة أنه عالم بالنحو و اللغة، كما مر بنا في المبحث السابق عند الحديث عن ابن شنبوذ (ت 327 هـ) ، و ابن مقسم (ت 354 هـ) .

نستنتج أن ابن مجاهد قام باستقراء تام لحال القرآن و القراءات في العصر الذي يعيش فيه (نهاية القرن الثالث و بداية القرن الرابع) و بيّن صورة القراءات و ما آلت إليه من فوضى و غياب المنهج في الأخذ و التلقي ، و هذا هو السبب الرئيسي في تأليف كتابه إذ " ندرك أن هناك أمرا مهما دعا إلى ما قام به ابن مجاهد من تسبيعه السبعة ، و هو : الحفاظ على منهج القراءات القرآنية ، لئلا تخرج عن طريق النقل الموثوق به إلى النقل المشكوك فيه ، أو عن طريق الرواية و النقل عن الرسول الأعظم _ صلى الله عليه و سلم _ إلى طريق الاجتهادات الشخصية " [1] و معنى هذا أن ابن مجاهد قطع الطريق ـ من خلال تأليف كتاب السبعة ـ على كل من تسول له نفسه تغيير القراءات لأن " القراءة سنة يأخذها الأول عن الآخر"[2]، أي أن القراءة مرتبطة بسندها , نقلها رواة ثقات من الصحابة و التابعين و تابع التابعين إلى أن وَصلتْ إلينا كما قرأها الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ

القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد و رواتهم :

1_ أبو عبد الرحمن نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم المدني (ت 169 هـ) روى عنه ورش (ت 197 هـ) و قالون (ت 220 هـ) .

2 _ عبد الله بن كثير المكي (ت 120 هـ) روى عنه قنبل(ت 191 هـ) و البزي (ت 205 هـ) .

[1] . القراءات القرآنية تاريخ و تعريف، عبد الهادي الفضلي ، مركز الغدير، بيروت . لبنان، ط4، 2009 م، ص 48 .

[2] . كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص 50 .

3_ أبو بكر عاصم بن أبي النجود الكوفي (ت 127 هـ) روى عنه حفص بن سليمان بن المغيرة (ت 180 هـ) و شعبة (ت 193 هـ) .

4_ حمزة بن حبيب الزيات الكوفي (ت 156 هـ) روى عنه خلاد بن خالد (ت 220 هـ) و خلف بن هشام بن ثعلب البزار (ت 229 هـ) .

5_ علي بن حمزة الكسائي الكوفي (ت 189 هـ) روى عنه أبو الحارث الليث بن خالد البغدادي (ت 240 هـ) و حفص بن عمر الدوري (ت 240 هـ) .

6_ أبو عمرو بن العلاء البصري(ت 154هـ) روى عنه حفص بن عمر الدوري (ت 240هـ) و السوسي (ت 261 هـ) .

7_ عبد الله بن عامر اليحصوبي الشامي(ت 118 هـ) روى عنه ابن ذكوان(ت 242 هـ) وهشام بن عمار بن نصر بن ميسرة (ت 245 هـ)[1] .

و باختيار ابن مجاهد لهؤلاء السبعة يكون أول من سبع القراءات، يقول السخاوي : " فاختار هؤلاء القراء السبعة أئمة الأمصار، فكان أبو بكر ـ رحمه الله ـ أول مَنْ اقتصر على هؤلاء السبعة و صنف كتابه في قراءتهم، و اتبعه الناس على ذلك، و لم يسبقه أحد إلى تصنيف قراءة هؤلاء السبعة " [2] و هذه كانت من أعظم الخدمات التي قدمها ابن مُجاهد للقرآن و القراءات حين بَيَّن الناس مَنْ يأخذون عنهم القراءات و مَنْ لا يأخذون عنهم .

سبب اختيار أبي بكر بن مجاهد للسبعة دون غيرهم :

مما لا شك فيه أن اختيار ابن مجاهد للقراء السبعة المذكورين آنفا لم يكن عشوائيا، بل كان خاضعا لمعايير و أسس نسردها كما يلي :

[1] . ينظر، كتاب السبعة في القراءات ابن مجاهد، ص 53 ،87 .

[2] . جمال القراء و كمال الإقراء، علم الدين السَّخاوي علي بن محمد، مكتبة التراث، مكة المكرمة . المملكة العربية السعودية ط 1 1987 م ، ص2/ 432 .

1ـ أنْ يكون القارئ إماما مُقدَّما في زمانه مُجمعا عليه ، و نستشف ذلك في عدة مواضع من الكتاب ، منها قوله ـ في بداية مقدمة الكتاب : " و أنا ذاكر منازلهم و دالّ على الأئمة منهم "[1] و لا يستحق لقب الإمام إلا من تميز عن غيره و تفوق عليهم . كما يقول ـ بعد أنْ ذكر الأئمة السبعة و أساتذتهم و تلاميذهم ـ : " فهؤلاء سبعة نفر (يعني القراء السبعة) من أهل الحجاز و العراق و الشام، خلفوا في القراءة التابعين و أجمعت على قراءتهم العوام من كل مصر من هذه الأمصار التي سُميت وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار" [2] أي أن هؤلاء القراء لهم مكانة رفيعة في قومهم و موثوق بعلمهم، قال في ترجمة ابن كثير: " و لم يُجمعوا على قراءة كما أجمعوا على قراءة ابن كثير ... و الذي أجمع أهل مكة على قراءته إلى اليوم ابن كثير " [3] ؛ و نتيجة لذلك أصبحوا مقدّمين على غيرهم في القراءات . [4] أيضا الصفات الشخصية كان لها دور في ترجيح كفة القراء السبعة أثناء الاختيار ، يقول مكي بن أبي طالب في هذا الصدد : " ... فنظروا إلى إمام مشهور بالثقة و الأمانة و حسن الدين ، و كمال العلم ، قد طال عمره ، و اشتهر أمره ، و أجمع أهل مصره على عدالته فيما نقل، و ثقته فيما قرأ و روى، وعلمه بما قرأ، فلم تخرج قراءته عن خط مصحفهم المنسوب إليهم . " [5] كذلك يقول السخاوي : "ومن القُرَّاء بها ما اشتهرت عدالته و فاقت معرفته، و تقدَّم أهل زمانه في الدين و الأمانة و المعرفة و الصيانة، و اختاره أهل عصره في هذا الشأن و أطبقوا على قراءته ، و قُصد من سائر الأقطار" [6] نستنتج من القولين

---

[1] . كتاب السبعة في القراءات ابن مجاهد، ص 45.

[2]. كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص 87 .

[3] . المصدر نفسه : ص 65 . 66 .

[4] . المصدر نفسه : ص 49 .

[5] . الإبانة عن معاني القراءات، مكي بن أبي طالب القيسي، تح : عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار النهضة للطبع و النشر القاهرة . مصر ، دط ، 1960 ، ص 86 .

[6] . جمال القُراء و كمال الإقراء، علم الدين السَّخاوي علي بن محمد، تح : علي حسين البَواب، مكتبة التراث، مكة المكرمة . المملكة العربية السعودية، ط 1، 1987 م، ص 2/ 432 .

الأخيرين أنّ القرّاء السبعة حظوا بهذه المكانة لاتصافهم بالدين و العلم و العدالة و الثقة و غيرها من الصفات الحميدة التي استطاعوا أنْ يكسبوا بها قلوب الناس .

2ـ ألا تُأخذ القراءة إلا ممن تخصص فيها و خبر كل تفاصيلها و جزئياتها، حيث إنه اشترط في بداية كلامه عند الحديث عن أصناف حملة القرآن أنْ يكون القارئ عالما بوجوه القراءات ، بصيرا بعيوبها [1] . إضافة إلى ذلك ، كان يشير ـ عند ترجمة كل قارئ من السبعة ـ و يصفه بأنه عالم بالقراءات و وُجوهها ، يقول في ترجمة نافع : " و كان عالما بوجوه القراءات متبعا لآثار الأئمة الماضيين ببلده ". [2] بمعنى أنه لم يخرج عن خطى أسلافه في الأخذ و الإقراء .

3ـ صحة سند القراءة و اتصاله بالرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ و قد جاءت إشارات كثيرة في الكتاب تدل على ذلك ، منها ما ذكرنا في ترجمته للإمام نافع في العنصر السابق قوله: إنّه كان متبعا لآثار الماضيين ببلده. كذلك ما رُوي عن أَبي عمرو بن العلاء قوله: " لولا أنّه ليْس لي أنْ أقْرَأ إلاّ بِمَا قَدْ قُرِئ به لقَرَأْتُ حَرْفَ كَذا كذا و حرف كذا كذا " [3] أي أنْ التزام أبو عمرو بن العلاء بالسند و الرواية منعه من تغيير بعض حروف القراءة ؛ لأن القراءة سنة متبعة يأخذها الخلف عن السلف [4]. أما ما يتعلق باتصال السند إلى النبي _ صلى الله عليه و سلم _ فنجده يقول : " و القراءة التي عليها الناس بالمدينة و مكة و الكوفة و البصرة و الشام هي القراءة التي تلقوها عن أوّليهم، و قام بها في كل مصر من الأمصار رجل ممَّن أخذ عن التابعين، أجمعت الخاصة و العامة على قراءته و سلكوا فيها طريقه و تمسّكوا بمذهبه، على ما روي عن عمر بن الخطاب و زيد بن ثابت ... " [5] و نجده

[1] . كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص 45 .

[2] . المصدر نفسه : ص 54 .

[3] . المصدر نفسه : 48 .

[4] . المصدرنفسه : ص 50 .

[5] . كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص 49 .

يثبت كلامه و يُجسّده حين يعرض سند كل قارئ اختاره من القراء السبعة ، فعلى سبيل المثال لا الحصر نجده ينقل أنَّ نَافع قرأ على جماعة من التابعين ، منهم أبو جعفر يزيد بن القعقاع و أبو داود عبد الرحمن بن هرمز الأعرج ، و شيبة بن نَصّاح ، و مسلم بن جندب الهُذلي ، و يزيد بن رومان ، و قرأ هؤلاء على أبي هريرة ، و ابن عباس و عبد الله عياش بن أبي ربيعة، عن أُبي بن كعب عن النبي ـ صلى الله عليه و سلم . [1]

نستنتج من خلال تركيز ابن مجاهد على صحة السند، لما له من أهمية بالغة في حفظ و حماية القراءات من التدنيس و التشويه الذي لحقها من النُّحاة و غيرهم من أصحاب الأهواء و البدع .

4 ـ التَّفقه في العربية و علومها، وبيَّن ذلك حين ذكر أصناف حملة القرآن، فقال : " فمن حملة القرآن المُعرب العَالم بوجوه الإعراب ... فذلك الإمام الذي يفزع إليه حُفَّاظ القرآن في كل مَصر من أَمصار المسلمين" [2]و قال في ترجمة الكسائي:" كانت العربية علمه و صناعته "[3] لأنه انتهت إليه الرئاسة في مدرسة الكوفة، و قال في ترجمة أبي عمرو بن العلاء : " كان مقدَّما في عصره، عالما بالقراءة و وجوهها، قدوة في العلم باللغة، إمام الناس في العربية، و كان مع علمه و فقهه بالعربية متمسكا بالآثار ... "[4] كل هذه الأقوال تثبت أنَّ ابن مجاهد وضع العلم باللغة وعلوم العربية من مقومات القارئ العمدة، المثالي للقراءة و الإقراء .

5 ـ موافقة المصحف العثماني؛ أي أنْ تكون القراءة موافقة لأحد المصاحف التي كُتبت في عهد عُثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ قال السَّخاوي " فلمَّا كان العصر الرابع سنة

[1] . المصدر نفسه : 54 . 60 .

[2] . المصدر نفسه : ص 45 .

[3] . كتاب السبعة في القراءات، ابن مجاهد، ص 80.

[4] . المرجع نفسه : ص 82 .

ثلاثمائة و ما قاربها كان أبو بكر بن مجاهد ـ رحمه الله ـ قد انتهت إليه الرئاسة في علم القراءة، و تقدم في ذلك أهل ذلك العصر ، اختار من القراءات ما وافق خط المصحف " [1]

استنتج العلماء من جهود ابن مجاهد في كتابة " السبعة في القراءات " شروط القراءة الصحيحة، قال ابن الجزري : " ... فقام جهابذة علماء الأمة و صناديد الأئمة، فبالغوا في الاجتهاد، و بيَّنوا الحق المُراد و جمعوا الحروف و القراءات و عزوا الوجوه و الروايات و ميزوا بين المشهور والشاذ، و الصحيح و الفاذ، بأصول أصَّلوها، و أركان فصَّلوها " [2] هذه المقولة تبيّن بوضوح ما قام به ابن مُجاهد من أجل خدمة القراءات، و اعتراف صريح من ابن الجزري بفضله و أسبقيته في وضع شروط القراءة المقبولة، ليكون بذلك أول من تكلم في ضوابط القراءة المقبولة ابن مجاهد، [3] و هذه الشروط هي: صحة السند، و موافقة الرسم العثماني، و موافقة اللغة العربية و لو بوجه.[4]

و ثَمرة عمل ابن مُجاهد أنَّه قد" وضع أمام الجماهير المسلمة أنماطا مُحدَّدة من القراءات مُعتدا بها، دفعًا لما يترتب على اختلاف القراءات الكثيرة من فوضى لدى غير الواعين بأبعاد هذا العلم فقد سَنَّ منهج التحديد، و هو نافع بلا ريب " [5] و معنى هذا أن ابن مجاهد بوضعه لأسس وشروط القراءة يكون بذلك قد جَنَّب الأمة فتنة عظيمة كانت على وشك الانفجار، لكنه أخمدها قبل أنْ تثور .

أثر تسبيع ابن مُجاهد في مسار الاحتجاج للقراءات القرآنية :

بعد أنْ أتمَّ أبو بكر ابن مُجاهد مشروعه في خدمة القراءات القرآنية و توصل إلى وضع

---

[1] ـ جمال القُراء، السَّخاوي، ص 2/ 432 .

[2] ـ النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص 1/ 9 .

[3] ـ ينظر , علم القراءات، نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل، مكتبة التوبة، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ، ط 1 2000 م ص 9 .

[4] ـ النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص 1/ 9 .

[5] ـ في علوم القراءات ـ مدخل و دراسة و تحقيق، رزق الطويل, مكتبة الفصليَّة، مكة المكرمة ـ المملكة العربية السعودية ط 1 ، 1985 م، ص 153 .

الشروط الثلاثة المعروفة لصحة أي قراءة قرآنية بمعية الدولة و تحت نظرها، التي تكفَّلت بإعطائه كافة الصلاحيات لذلك، و هذا ما كان جليا عندما حاول ابن شَنبوذ و ابن مُقسم الخروج عن مشروع ابن مُجاهد، حاول ردَّهما إلى الطريق الصحيح، فلمَّا أَبَيَا رفع أمرهما إلى الحاكم و عُقدت لهما محاكمة ضخمة أمام الملأ، و لم يكن ليُعْفَى عنهما إلا بعد أنْ أعلنا توبتهما . [1] ومعنى هذا أنْ عمل ابن مُجاهد كان يكتسي طابع الرسمية والإلزام .

و على الرغم من أنَّ ابن مجاهد لقي ثناء العلماء كونه أوَّل مَنْ سبع القراءات و قضى على مشكل الاجتهاد في القراءة ، إلا أنَّه في الوقت نفسه سبَّب اضطرابا في الفهم عند العامة و أصبح يُفهم أنَّ سبعة ابن مجاهد هي السبعة أحرف التي ذكرها النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ في حديثه، و أنَّ ما وراء تلك السبعة شاذٌ ليس بقرآن [2] ؛ و بهذا الفهم تصبح دائرة الشاذّ واسعة جدا تشمل كل قراءة قُرآنية خارج إطار سبعة ابن مُجاهد من مفهوم العامَّة لا الخاصة " فقد ظنَّ جماعة ممَّن لا خبرة له بأصول هذا العلم أنَّ قراءة هؤلاء الأئمة السبعة هي التي عبَّر عنها النبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ بقوله : " أُنزل القرآن على سبعة أحرف " فقراءة كل واحد منْ هؤلاء حرفٌ من تلك الأحرف، و لقد أخطأ مَنْ نَسَبَ إلى ابن مُجاهد أنَّه قال ذلك " [3] ؛ ومعنى ذلك أنَّ ابن مُجاهد لم يصرح بذلك، و هو ليس مسؤولا عن التأويل الخاطئ لكلامه " و إنما جاء اقتصاره على هؤلاء السبعة مصادفة و اتفاقا من غير قصدٍ و لا عمدٍ . ذلك أنَّه أخذ على نفسه ألا يروي إلا عمَّن اشتهر بالضبط و الأمانة... فلم يتم له ما أراده هذا إلا عن هؤلاء السبعة و حدهم . و إلا فأئمة القراء لا يحصون كثرة

[1] . يُنظر، كتاب مقدمة تحقيق كتاب السبعة في القراءات،ابن مجاهد ص 15 . 16 .

[2] . ينظر، النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، ص 1/ 46 . 47 .

[3] . المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي، علق عليه: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط 1، 2003 م، ص 117 .

و فيهم مَنْ هو أجلُّ من هؤلاء قدراً و أعظم شأنا "[1]

و مختصر القول أنَّ ابن مُجاهد طبَّق معاييره على قرَّاء عصره، فكان نتيجة ذلك، تسبيع السبعة الذين رأى فيهم الأهلية أكثر من غيرهم على الإقراء دون أنْ يقلل من شأن القراء الآخرين و إنْ كان قد شذَّذَ بعض القراءات في عدَّة مواضع من كتابه "فنجده يصف بعض القُّراء و قراءاتهم بالخطأ تارة، و الوهم تارة، و الغلط أو اللحن تارات أخرى، و تظهر النتائج أيضا أنَّه روى مثل هذه الأوصاف عن غيره دون اعتراض، أو توجيه " [2] ؛ و معنى هذا أنَّ ابن مُجاهد قد أوقع نفسه في اضطراب و تناقض؛ فهو من جهة يقول إنَّ هؤلاء القُّراء السبعة يتصفون بالأمانة، و الثقة، والإتقان، ثم نجده من جهة أخرى يَنعت قراءاتهم بأوصاف تناقض الأوصاف الأولى ؛ إذ نجد بعد مسح شامل لكتاب السبعة أنَّ ابن مُجاهد خطَّأ القراء الذين اختارهم في ستة مواضع، و وصف قراءاتهم بالوهم في تسعة مواضع، و بالغلط في ثلاث و ثلاثين موضعا، و باللحن في موضع واحد . [3] و سنمثّل بمثال واحدٍ لكل حالة.

الخطأ الذي وصف به ابن مُجاهد بعض القراءات :

قوله تعالى : (أَنْبِئْهُمْ) [4] ؛ " كلهم قرأ (أَنْبِئْهُمْ) بالهمز و ضم الهاء إلا ما حَّثني أحمد بن محمد بن بكر عن هشام بن عمار، عن أصحابه، عن بن عامر: (أَنْبِيْهم) بكسر الهاء . و ينبغي أن تكون غير مهموزة، لأنه لا يجوز كسر الهاء مع الهمز ... و هو خطأ في العربية "[5]

---

[1] . مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، مطبعة عيسى البابي و شركاه ، القاهرة . مصر ، ط 3 د ت ، ج 1 ، ص 417 .

[2] . محمد الحسين مليطان ، القراءات القرآنية ..إشكالية النقد . قراءة في كتاب السبعة لابن مُجاهد ، مجلة الساتل، مصراتة ليبيا ، ص 65 .

[3] . ينظر ، المصدر السابق ، ص 66 .

[4] . سورة البقرة ، الآية 33 .

[5] . كتاب السبعة في القراءات ابن مُجاهد ، ص 153 .

و " روى هُبيرة، عن حفصٍ عن عاصم: أنَّه كان يكسر الشين من (شُيوخا) وحدها و يضُمُّ الباقي . قال أبو بكر: و هذا خطأ "[1]

مثال عن الوهم الذي حكم به على بعض القُّراء و القراءات:

" قرأ ابن عَامر وحده: (كُن فيكونُ)[2] بالنصب . قال أبو بكر: و هو وهم "[3]

مثال عن الغلط الذي وصم به ابن مُجاهد بعض القُّراء و القراءات:

الاختلاف في قوله تعالى: (معايش) [4] " كلهم قرأ (معايش) بغير همز، وروى خارجة عن نافع (مَعَآئش) ممدودة مهموزة، قال أبو بكر: وهو غلط "[5]

مثال عن اللحن الذي نعت به ابن مُجاهد القُّراء و القراءات:

لم يصف ابن مُجاهد أي قراءة بهذا الوصف، لكنه رواه عن الأعمش يصف به قراءة عاصم، و لم يُعقب عليه، قال ابن مُجاهد في قول المولى عزَّ و جل:(وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً)[6]

" كلهم قرأ: (وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ) رفعاً (عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً) نصبا إلا ما حدَّثني ... عن الأعمش: أنَّ عاصما قرأ (و ما كان صلاتَهُمْ) نصبا (إلا مُكاءٌ و تصديةٌ) رفعا، فقال الأعمش: و إنْ لحن عاصم تلحن أنت ."[7]

---

[1] . المصدر نفسه، ص 179 .

[2] . سورة مريم ، الآية 35 .

[3] . كتاب السبعة في القراءات، ابن مُجاهد، ص 206 . 207 .

[4] . سورة الأعراف ، الآية 10 .

[5] . كتاب السبعة في القراءات، ابن مُجاهد، ص 278 .

[6] . الأنفال، الآية 35 .

[7] . كتاب السبعة في القراءات، ابن مُجاهد، ص 305 . 306 .

بعد عرض تلك النماذج للقراءات و القُّراء التي حكم عليها ابن مُجاهد بالخطأ، أو الوهم أو الغلط، أو اللحن، نستنتج أنَّها جميعها تشترك في نوع واحد من الشذوذ ألا و هو الشذوذ النحوي ؛ و هذا يعني أنَّ انتقادات ابن مُجاهد للقراءات لم تكن على مستوى السند، و لا رسم المصحف، و إنما على مستوى لغتها، و صحَّة عربيتها على حدّ علمه باللغة و العربية . " كان عليه و هو عالم القراءة أنْ يقف غير هذا الموقف، فلا يُخضع هذا الأثر المُتماسك في نقله و قوته لمقياسه النحوي الضيق، بل يقبله و يُوسع له، لأنَّ طائفة من العلماء كانوا بالأمس يؤمُّون المسلمين به في الصلاة قبل أنْ تظهر مقاييسه، و لأنه أَثَرٌ عن العرب مُتماسك الرواية " [1] لذلك ظهرت دراسات جديدة مكملة لمشروع ابن مُجاهد لخدمة القراءات و الاحتجاج لها, يقول ابن جني " ... و رحم الله أبا بكر؛ فإنه لم يألُ فيما علمه نُصحا، و لا يلزمه أنْ يُري غيره ما لم يُره الله ـ تعالى ـ إياه " [2] يُفهم من هذا الكلام أنَّ عمل ابن مُجاهد رغم عظمته إلا أنّه ككل عمل إنساني غير مكتمل، و يحتاج إلى مَنْ يواصل مسيرته و يستدرك النقائص و الهنات التي وقع فيها . لهذا جاء أبو علي الفارسي (ت 377 هـ) من خلال مُؤلَّفه " الحجة في علل القراءات السبع " و كذلك كتاب" المحتسب في تبيين شواذ القراءات و الإيضاح عنها " لتلميذه أبي الفتح عثمان بن جني (ت 395 هـ) ليُواصلا ما بدأه أبو بكر ابن مجاهد، و هذا ما سنراه في المبحث القادم إنْ شاء الله .

[1] . القراءات الشاذة و توجيهها النحوي، محمود أحمد الصغير ، دار الفكر، دمشق . سوريا، ط 1 ، 1999 م ، ص 168 .

[2] . المُحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني، تح : عبد الفتاح شلبي و آخرين دار سركين للطباعة و النشر، الطائف . المملكة العربية السعودية، ط 2 , 1986 م، ص 1/ 71 .

توجيه القراءة عند أبي علي الفارسي في كتابه " حجة القراءات السبع":

1- ترجمة أبي علي الفارسي

هو الحسن بن أحمد بن عبد الغفار بن سُليمان، أبو غليّ الفارسي النحويّ [1] ويقال أنّ "أمه سدوسية من سدوس شيبان ربيعة الفرس" [2]، وتُجمع الروايات أنّه وُلد بفسا من أرض فارس . ثمانية و ثمانين و مائتين . وقدم بغداد فاستوطنها، و أخذ من علماء النحو بها و علت منزلته، حتى قال قوم من تلاميذه: هو فوق المبرّد، و أعلم، وقد كانت له مكانة عالية عند عضد الدولة، حتى قال: أنا غلام أبي علي النحوي الفسوي في النحو. [3]

ودخوله بغداد كان في سنة سبع و ثلاثمائة، كما أنه أقام بحلب، سنة أربعين و ثلاثمائة وكانت وفاته يوم الأحد لسبع عشرة من شهر ربيع الآخر، وقيل ربيع الأول، سنة سبع و سبعين و ثلاثمائة. [4]

---

[1] . أنظر ترجمته في :

. الفهرست، ابن النديم، ص 95، و تاريخ دار السلام: الخطيب البغدادي، ص 217/8 . 218.

. نزهة الألباء في طبقات الأدباء، أبو البركات كمال الدين بن الأنباري، تح : إبراهيم السمرائي، مطبعة المنار . الأردن ط3،1985، ص 232. 233، ومعجم الأدباء،ياقوت ص 2/ 811 . 821.

. أنباه الرّواة على أنباه النحاة، جمال الدين بن يوسف القفطي، تح : أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة . مصر و مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت . لبنان، ط1، 1986، ص 308/1 . 311.

. وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين بن خلكان، تح : إحسان عباس، دار صادر ، بيروت . لبنان دط ، 1978، ص 163/2، و سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص 1393/1. و غاية النهاية، ابن الجزري، ص 189/1.

. بغية الوعاء في طبقات اللغويين و النحاة، جلال الدين السيوطي، تح : محمد أبو الفضل إبراهيم، مط بعة عيسى البابي الحلبي و شركائه . مصر، ط1، 1965، ص 496/1 . 497.

[2] . معجم الأدباء، ياقوت، 2/.2811

[3] . ينظر: أنباه الرواة، القفطي، ص 308/1.

[4] . ينظر: وفيات الأعيان، ص 2/ 80، 81.

2ـ شيوخه:

روى القراءة عرضا عن أبن مجاهد[1]

أخذ النحو عن: أبي إسحاق الزجاج، وأبي بكر بن السراج، و أبي بكر بن مبرمان، و أبي بكر الخياط .[2]

3ـ تلاميذه:

ابن جني، و علي بن عيسى الربعي، وأبو طالب العبدي، وأبو الحسين، الزعفراني[3]

و حدث عنه عبيد الله الأزهري، وأبو القاسم التونخي، وأبو محمد الجوهري.[4]

4ـ مؤلفاته:

كتاب ' التذكرة '. كبير. 'الإيضاح و التكملة'، صنفه لعضد الدولة، و 'الممدود والمقصور' و'الحجة في القراءات'، و'الأغفال'، في ما أغفله الزجاج من معاني، و 'العوامل المائة' و'المسائل الحلبيات'، و' المسائل البغداديات'، و 'المسائل الشيرازيات'، و 'مصنفات أخرى'.[5]

سبب تأليف كتابه " الحُجَّة " :

بَعد اختيار أبي بكر ابن مُجاهد القراءات السَّبعة، و فَصْله بين القراءات الصحيحة و الشاذة، كانت الخطوة المنطقية، و الطبيعية التالية لهذا الاختيار هي الاحتجاج اللغوي لهذه القراءات ؛ لأنَّ الشرطين الآخرين لصحة القراءة مُحقَّقة فيها . و كان أنسب مَنْ يقوم

[1] . غاية النهاية في طبقات القراء، ابن الجزري، 189/1.

[2] . معجم الأدباء، ياقوت، ص 811/2.

[3] . نزهة الألباء، ابن الأنباري، ص 232.

[4] . سير أعلام النبلاء، الذهبي، ص 1393/1.

[5] . أنباه الرواة، القفطي، ص 309/1.

بهذه المهمة هم النحاة؛ بفضل ما اكتسبوه من خبرة من خلال جهود سيبويه في الاحتجاج لبعض القراءات في كتابه . [1] و يَذكر المُتتبعون لتاريخ الاحتجاج للقراءات أنَّ الاحتجاج للَّسبعة " بدأ قبل موت الإمام ابن مُجاهد، إذ شرع أبو بكر بن السّراج النحوي(ت 316 هـ) في الاحتجاج لسبعة ابن مُجاهد، و تأليف كتاب يديره حولها بالاحتجاج لها و التعليل و التوجيه و بيان وجوه الاختلاف بين القُّراء السبعة، ولكنَّه اِخْتَرَمَ قبل أنْ ينجز منه شيئا كثيرا فلم يشرح من ذلك سوى سورة الفاتحة، و آيتين من سورة البقرة ." [2] و لقيت هذه المبادرة استحسان تلميذه أبي علي الفارسي فتكفَّل بمواصلة عمله في كتابه " الحُجَّة في علل القراءات السبع " بداية بما انتهى إليه ابن السراج حتى أتَّم الاحتجاج لكامل كتاب السبعة . [3] يقول أبو علي الفارسي في مقدمة كتابه:" و قد كان أبو بكر محمد بن السَّري شرع في تفسير صدرٍ من ذلك في كتاب كان ابتدأ بإملائه، و ارتفع منه تبييض ما في سورة البقرة من وجوه الاختلاف عنهم، و أنا أُسند إليه ما فُسّر من ذلك في كتابي هذا " [4] يعترف أبو علي بشكل صريح أنَّ ابن السّراج هو صاحب السبق في تأليف الكتاب إذ إنّه كان يقدّم دروسا في الاحتجاج لسبعة ابن مُجاهد لتلاميذه، ثم يشرع في تدوين ما أَمْلاهُ عليهم إلى أنْ وافته المنية ، عندها استلم المشعل منه باعتباره تلميذه و الأحق، و الأجدر بإتمام باقي العمل بداية من آخر ما انته إليه ابن السّراج .

علاوة على ذلك، شهد القرن الرابع كثرة الجدل، و البرهان، و الإقناع، و القياس نتيجة لتأثر النحاة ـ و خاصة البصريين منهم ـ بالمذاهب الفلسفية التي تعتمد أكثرها على التحليل

---

[1] . ينظر ، أبو علي الفارسي ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة . المملكة العربية السعودية ط 3 ، 1989 ، ص 172 . 173 .

[2] . النحو و كتب التفسير ، إبراهيم عبد الله رفيْده ، الدار الجماهيرية ، بنغازي . الجماهيرية الليبية ، ط 3 ، 1990 م ص 496 .

[3] . ينظر ، المرجع نفسه ، ص 496 .

[4] . الحُجَّة للقراء السبعة ، أبو علي الحسن بن عبد الغفَّار الفارسي ، تح : بدر الدين قهوجي و بشر حويجاني ، دار المأمون للتراث ، دمشق . سوريا ، ط 1، 1984 م، ص1/ 06.

و التفسير، و التفريع، و الاستدلال، و الاحتجاج . و أصبح لا يُكتفَ بمجرد النقل و الأثر بل صار العقل يؤدي دورا بارزا في الحياة عامة، و في العلم و الدين بشكل خاص، فما كان للنُّحاة بدٌ من الاحتجاج للقراءات السَّبعة حتى يُسلَّم بصحَّتها، و تلقى القَبول في المجتمع .[1]

و أخيرا و ليس آخرا ، يمكن القول إنَّ من أسباب تأليف الكتاب كذلك هو الدفاع عن القرآن و ردّ كيد الحاقدين و المفترين من المجوس، و النصارى، و اليهود الذين حاول الطَّعن في القرآن و قراءاته .[2]

كل هذه العوامل و غيرها تكاتفت بشكلٍ، أو بآخر من أجل أنْ يرى كتاب " الحجَّة للقُرَّاء السبعة " النور و يصبح مثالا يُحتذى في باب التأليف للاحتجاج للقراءات السبعة لكل مَنْ أتى بعده ، و سنفصل في الحديث عن ذلك في نهاية الحديث عن أبي علي الفارسي.

موضوع الكتاب و منهجه :

إنَّ ممَّا اعتاده المؤلّفون حين كتابتهم هو تبيين دوافع التأليف، و ذكر منهجهم في ذلك و أبو علي الفارسي لم يكن استثناءا في ذلك، إذ نجده يُصَدّر كتابه بمقدّمة موجزة جدا وَضَّحَ فيها طريقة عمله في الكتاب، فيقول:" إنَّ هذا الكتاب نذكر فيه قراءات القُرَّاء الذين ثبتت قراءاتهم في كتاب أبي بكر ابن مُجاهد المُترجم بمعرفة قراءات أهل الأمصار بالحجاز و العراق و الشام، بعد أنْ نذكر كل حرف من ذلك على حسب ما رواه، و أخذنا عنه " [3]

[1] . أبو علي الفارسي ، عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار المطبوعات الحديثة ، جدة . المملكة العربية السعودية ، ط 3 1989 ، ص 173 . 176 .

[2] . المصدر نفسه : ص 176 .

[3] . الحُجَّة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي، ص 05/1 . 06 .

و معنى هذا أنَّ موضوع الكتاب لا يخرج عن الاحتجاج للقراءات السبعة التي اختارها ابن مُجاهد في كتابه " السبعة في القراءات " .

أمَّا منهجه في الكتاب فقد اعتمد منهجا موحَّدا في جميع مواضع الكتاب " يبدأ بذكر اختلاف القرَّاء في الحرف الذي يريد الاحتجاج له مُرتباً ذلك على ترتيب آي القرآن الكريم في الحروف التي وقع الاختلاف فيها، ثم يُورد كلام أبي بكر بن السراج، ثم يُنهي الحكاية عنه، ثم يُصدّرُ احتجاجه بكلمة:" قال أبو علي"[1] بمعنى أنَّ أبا علي يذكر نص الآية المُحتج لها من كتاب ابن مُجاهد كخطوة أولى، بعدها يسرد حُجج ابن السّراج ثانيا، و أخيرا يأتي بآرائه الشخصية، " و ظل أبو علي يصطنع ذلك الأسلوب حتى وصل إلى آخر قوله تعالى:" ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين "، و بعد هذه الآية يستقل أبو علي بالاحتجاج، فلا يرد ذكر ابن السراج "[2] و هذا الترتيب منطقي ؛ لأن أبا علي مُنطَلَقه عمل ابن مُجاهد، و ابن السراج الذي كان سَّباقا له في الاحتجاج للسبعة . و لم يخرج أبو علي في احتجاجه عن غيره إذ اعتمد بالدرجة الأولى على القراءات القرآنية في احتجاجه؛ فيحتج للآية بآية أخرى من القراءة ذاتها، أو من قراءة أخرى . كما أنَّه يلجأُ إلى الاحتجاج بالحديث الشريف بالدرجة الثانية باعتبار أنَّ الرسول ـ صلى الله عليه و سلم ـ أفصح العرب . إضافة إلى احتجاجه بالأمثال، و الحكم، و لغات العرب و لهجاتها، و سنن العرب في كلامها و" أقوال أئمة العربية و على رأسهم سيبويه الذي انتثرت عبارات كتابه في الحجة " [3] و هذا أمر طبيعي لأنَّ أبا علي بصريُّ المذهب في النحو، لذا لا غرابة في كثرة احتجاجه بآراء إمام النحاة " سيبويه " الذي يعتبر المصدر الأم لكل نحوي بصري كان أو كوفي على السَّواء وعلى الرغم من ذلك نراه يحرص كُلَّ الحرص على إيجاد وجه تخرج عليه تلك القراءات و إنْ لم يكن ذلك الوجه الأفصح لديه حتى وصل به الأمر إلى الانتصار لبعض الآراء

[1] . أبو علي الفارسي، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، ص 178 .

[2] . المصدر نفسه : ص 178 .

[3] . مقدمة تحقيق كتاب الحُجَّة للقراء السبعة ، أبو علي الفارسي، ص 1/ 15.

الكوفية في بعض الأحيان .[1]

أسلوب أبي علي الفارسي في كتابه " الحُجَّة للقراء السَّبعة" :

إنَّ ما يُمَيز كتاباً عن غيره ليس ما يحتويه من معلومات، و لا عدد ما تضمُّنه من صفحات فقط، بل كذلك أسلوب عرضه للمعلومات، وطريقة تنظيمها، و ثراء مضمونها و كيفية تقديمها بين يدي القارئ الموَّجة له، و بالعودة إلى كتاب أبي علي الفارسي نجده موجَّها إلى جمهور بعينه؛ وهم أهل الاختصاص و ليس العوام، و ليس أدلَّ على ذلك من شهادة تلميذه ابن جنّي الذي يقول:" و قد كان شيخنا أبو علي عمل كتابه الحجَّة، و ظاهر أمره أنَّه لأصحاب القراءة، وفيه أشياء كثيرة قلَّما ينتصف فيها كثير ممن يدعي هذا العلم، حتى إنَّه مجفوٌّ عند القُرَّاء لما ذكرنا " [2] و كلام ابن جني لا يُقلل من عمل أبي علي، إنَّما يوضح القدرة الكبيرة لأستاذه في القراءات و علوم اللغة حتى إنَّ أسلوبه لا يقدر عليه إلا مَنْ تمرَّس العربية و فقهها على أصولها، و ربَّما تعود صعوبة الكتاب لكثرة الاستطراد و الإسهاب و تشقيق الأدلة و الوجوه و الاسترسال في ذكر النظائر و الأشباه في أسلوب منطقي مُوغل في الجدل و القياس و ذكر العلل " [3] وكل ذلك نتيجة لتأثر أبي علي الفارسي بالنحو البصري الذي يفرط في القياس و العلل (علة أولى، علة ثانية، علة ثالثة) إضافة إلى تأثره بالمذاهب الفلسفية القائمة على الجدل و البرهان كما ذُكر سابقا . و صعوبة كتاب حجة القراء السبعة ليس عيباً في ذاته، إنَّما العيب في ضعف غيره و قصر الهمَّة في فهمه، و لا يعرف قيمته إلا مَنْ غاص في أعماقه و كشف دُرَرَه؛ إذ يحوي كنوزاً علميَّة قلَّما تجتمع في مُصنَّفٍ واحد، " فهو ينتقل بالقارئ من الكلام عن الحرف و الخلاف فيه

[1] . ينظر : كريمة بنت أحمد بن الطاهر البشير ، آراء أبي علي الفارسي النحوية و تطبيقها على كتاب الحجة للقراء السبعة رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، كلية اللغة العربية و آدابها ، جامعة أم القرى ، المملكة العربية السعودية ، 2013 م ص 31 .

[2] . المُحتسب، ابن جني، ص 197/1 .

[3] . النحو و كتب التفسير، إبراهيم عبد الله رفيْده، الدار الجماهيرية، بنغازي . الجماهيرية الليبية، ط3، 1990 م، ص 496.

و الاحتجاج له إلى تفسير الآية ... أو يتناول الكلمة و ما يتفرع عنها من معانٍ ... ثم يتجاوزه إلى الحديث عن الوجوه الإعرابية أو العلل الصرفية ... " [1] ؛ بمعنى أنَّه يذكر وجه القراءة، ثم يحتجُّ لها و يفسّرها، و يذكر وُجوه الإعراب فيها، و يشرح الكلمة المُستعصية على الأفهام إذا لزم الأمر، و يُدلل على صيغتها الصرفية إذا دعتْ الحاجة .

و خلاصة ذلك أنَّ الكتاب موسوعة معرفية يستفيد منها المُفَسر، و عالم القراءات و الفقيه، و النحوي، و المعجمي، و اللغوي على السَّواء؛ ففيه ما يشفي غليل المُتعلم المبتدأ، و الباحث المُختص .

القيمة العلمية للكتاب و أثره في مسار الاحتجاج للقراءات:

لا شكَّ أنَّ لكتاب " الحُجَّة للقراء السبعة " أهمية بالغة في مجال القراءات و الاحتجاج لها و سنبين ذلك تباعاً في النقاط التالية:

1ـ تتبع الأهمية الأولى للكتاب في كونه أوَّل مُصنَّف اعتنى بشرح كتاب " السَّبعة في القراءات " لابن مُجاهد؛ و هو أعظم مُؤلَّفٍ أُلف في القراءات إلى يومنا هذا .
يقول ابن الجزري في غاية النهاية في طبقات القراء:" ... وكتاب الحُجَّة شرح سبعة ابن مُجاهد فأجاد و أفاد " [2]

2ـ و ثاني أهمية، تكمن في احتجاجه التفصيلي، و توثيقه لكل حرفٍ مُختلفٍ فيه بين القُرَّاء السبعة بالحجة و الدليل، مع كثرة الشواهد من مُختلف مصادر الاحتجاج (قرآن كريم حديث نبوي شريف ، أشعار ، أمثال حكم ...)

3ـ و ثالث أهمية، هي الثروة المعرفية، و العلمية التي يزخر بها الكتاب من مختلف العلوم الدينية، و اللغوية.

---

[1] . ينظر: مقدمة تحقيق كتاب الحُجَّة للقراء السبعة ، أبو علي الفارسي، ص 1/ 15.

[2] . غاية النهاية، ابن الجزري، ص 189/1 .

4. و رابع أهمية، تتمثل في المكانة الرفيعة التي يحضى بها أبو علي الفارسي؛ مما أعطى الكتاب صيتاً كبيرا، و أصبح الناس مُقبلين عليه من كل حدبٍ و صوبٍ. يقول ياقوت الحَموي في معجمه :" كان أوحد زمانه في علم العربية " [1] و ليس أدلَّ على ذلك من تخرج عديد التلاميذ على يديه على رأسهم ابن جني صاحب الصولات و الجولات في اللغة و علومها، و في الاحتجاج للقراءات الشاذة (سنفصل الحديث عنه في الجزئية القادمة).

وقد تأثر كثير من العلماء و اللغويون بكتاب أبي علي الفارسي ما دفعهم لدراسته و شرحه و اختصاره على غرار ما فعله " مكي بن أبي طالب(ت 437 هـ) في كتاب سمَّاه " مُنتخب الحُجَّة في القراءات " و جعله في ثلاثين جُزءاً، و اختصره أيضاً أبو طاهر إسماعيل بن خلف الأندلسي (ت 455 هـ) " [2]

و آخر ما يُمكن قوله عن أبي علي الفارسي هو أنَّه لو لم يُألف إلا هو في الاحتجاج للقراءات السَّبعة لكفى؛ فقد وفّىَ و كفَّى، و بسط القول في الاحتجاج للقراءات السَّبعة و علَّل كلَّ الوُجوه التي أتى بها ابن مُجاهد، و بيَّن صحَّة كل وجه من جانبه اللُّغوي حتى لم يترك لغيره فيها بقيّة باقية .

[1] . معجم الأدباء، ياقوت الحموي، ص 2/ 811 .

[2] . معجم القراءات القرآنية ، أحمد مُختار عمر و عبد العال سالم مكرم ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، ط 2 1988 م، ص 1/ 105 .

جهود ابن جني في الاحتجاج للقراءات الشاذَّة :

1ـ ترجمة ابن جنّي:

هو أبو الفتح عثمان بن جنّي، الموصلي النحوي اللغوي[1].

"وأبوه جنيّ كان عبدا مملوكا روميّا لسليمان بن فهد الأزدي الموصليّ" [2]، وجنيّ: بكسر الجيم و تشديد النون و بعدها ياء، كانت ولادته قبل الثلاثين و الثلثمائة، و توفي يوم الجمعة شهر صفر لليلتين بقيتا من سنة اثنين و تسعين و ثلثمائة، ببغداد [3]. وقد كان إماما في علم العربية[4].

واستوطن أبو الفتح دار السلام ـ بغداد ـ و درس بها العلم إلى أن مات [5]، كما أنه سمع عن شيوخ وقرأ عليهم بالعراق و الموصل والشام، وقد كان له من الولد عليّ و عالٍ وعلاء، كلهم أدباء.[6]

كما يذكر أنه كان يحضر عند المتنبي و يناظره في شيء من النحو، كان المتنبي يقول : هذا رجل لا يعرف قدره كثير من الناس[7].

2ـ شيوخه:

أبو علي الفارسي، و لزمه مدّة أربعين سنة.[8]

---

[1] . ينظر ترجمة ابن جني :

تاريخ دار السلام، الخطيب البغدادي، ص 205/13، و نزهة الألباء، ابن الأنباري،ص 244 . 246 . و معجم الأدباء ياقوت، 1585/4 . 1601، أنباه الرواة، القفطي، ص 235/2، ووفيات الأعيان، ابن خلكان، ص 246/3 . 247 . و بغية الوعاء، السيوطي، 123/2.

[2] . تاريخ دار السلام، الخطيب البغدادي، ص 205/13 .

[3] . ينظر: وفيات الأعيان، ابن خلكان، ص 248/3 .

[4] . المصدر نفسه، ص 246/3.

[5] . أنباه الروّاة، القفطي، 336/2.

[6] . ينظر: معجم الأدباء، ياقوت، 1599/4،1989 .

[7] . بغية الوعاء، السيوطي، 132/2.

[8] . نزهة الألباء، بن الأنباري، ص 244.

وفي معجم الأدباء نجد عدة روايات كتبها ابن جني عن شيوخه، كقوله: رأيت بخط ابن جني، أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم...عن محمد بن هارون الرواني.

و على لسان ابن جني ذكر: وأخبرني أبو علي العباس، و يقول أيضا : وسألت الشجري[1].

3ـ تلاميذه:

أخذ عنه " أبو القاسم الثمانيني، و أبو أحمد بن عبد السلام البصري، و أبو الحسن بن عبيد الله، والسمسمي"[2]، وأولاده الثلاث.

و قد أجاز للشيخ أبي عبد الله الحسين أن يروي عنه مصنفاته[3].

مصنفاته:

الخصائص في النّحو، سر صناعة الإعراب، وشرح تصريف المازني، شرح مستغلق الحماسة، شرح المقصور والممدود، شرحان على ديوان المتنبي، اللّمع في النحو، ذا القد، جمعه من كلام شيخه الفارسي، المذكرو المؤنث، محاسن العربية، والمحتسب في إعراب الشواذ، وغيرها [4].

تمظهر القراءات الشاذة قبل ابن جني :

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ عناية اللغويين، و القُرَّاء بالقراءات الشاذة قد بدأت منذ وقت مبكر؛ أي منذ اهتمام اللغويين، و النحاة بالتقعيد للنحو العربي، و الاحتجاج لقواعدهم الصرفية و النحوية من جهة، و جمع عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ للقرآن من جهة أخرى.

و استمر الأمر على ما هو عليه طيلة الثلاثة قرون ونصف الأولى للهجرة، و يمكن القول إنَّها تجسَّدت في ثلاث صور :

---

[1] . ينظر: معجم الأدباء، ياقوت، 1596.1595/2 .

[2] . نزهة الألباء، ابن الأنباري، ص 245.

[3] . معجم الأدباء، ياقوت، ص 1597/2.

[4] . بغية الوعاء، السيوطي، 132/2.

أ ـ جهود جانبية، كانت نتيجة العمل على تقييس قواعد النحو، كما كان الشأن عند مدرسة الكوفة، أو الاحتجاج لقاعدة نحوية، كما ظهر عند نحاة مدرسة البصرة، و مثَّل هذه الحقبة النُّحاة الأوائل نذكر منهم على سبيل التمثيل لا الحصر: أبا عمرو بن العلاء (ت 154 هـ) و الخليل بن أحمد الفاهيدي (ت 180 هـ) و قطرب (ت 206 هـ) و أبا علي الفارسي (ت 377 هـ) [1]

ب ـ جهود قرآنية نحوية، و جاءت من تتبع وُجُوه آيات القرآن و قراءاته، و هي جهود أغلب الذين صنَّفوا في تفسير القرآن، و معاني القرآن، و إعراب القرآن، و مجاز القرآن، مثل ما جاء في مُؤلَّفات: الفراء (ت 207 هـ) وأبو عُبيد معمر بن المُثنَّى (ت 209 هـ) و حاتم السَّجستاني (ت 316 هـ)[2] .

جـ جهود شبه مباشرة، و هي محاولات صبَّت في الاحتجاج للقراءات، لكنها كانت جزئية لم ترق لدرجة اعتبارها أعمالا كاملة، و مستقلة في باب الاحتجاج للشواذ كما فعل ابن جني ومن أمثلتها: ما فعله أبو بكر بن مُجاهد (ت 324 هـ) في كتابه السَّبعة، و ابن خالويه (ت370) في كتابه " مختصر شواذ القراءات " حيث احتجَّ لقلَّة من القراءات[3] .

نستنتج ممَّا سبق أنَّ الاحتجاج للقراءات الشاذة أخذ ينمو و يتطور على يد النُّحاة و القراءلكنَّه بقي مبعثرا في أشتات الكتُب دون أنْ يَهُمَّ به أحد حتى جاء ابن جني في أواخر المئة الرابعة و صنَّف كتابه الشَّهير " المُحتسب في تبيين وُجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها " فدافع عن القراءات التي رفضها ابن مُجاهد و بيَّن صحتها من جانبها اللغوي .

---

[1] . ينظر : القراءات الشاذة و توجيهها النحوي ، محمود أحمد الصغير ، دار الفكر ، دمشق . سوريا ، ط 1 ، 1999 م ص 193 .

[2] . ينظر : المصدر نفسه ، ص 193 .

[3] . ينظر : المصدر نفسه ، ص 193 .

جهود ابن جني في الاحتجاج للقراءات الشاذة من خلال كتابه " المُحتسب " :

دوافع ابن جني لتوجيه القراءات الشاذَّة و التأليف فيها:

لقد شهد حقل القراءات القرآنية عددا من الشبهات على مدار تاريخه، لعل من أبرزها مسألة تشذيذ القراءات، و الطعن فيها على جميع مستوياتها (السند ، و الرسم ، و العربية) فتصدَّى لهؤلاء الطاعنين ثُلَّة من العلماء من بينهم ابن جني في كتابه " المُحتسب " ، إذْ يرى ابن جني أنَّ القراءات ـ في زمانه ـ ضربان : ضرب اجتمعت كل الأمة على صحته، و تكفل ابن مُجاهد من الإحاطة به علماً، و صنَّفه في كتابه " السبعة في القراءات ". و ضرب ثان خرج عن قراءة السَّبعة، فسُمي بالشَّاذ؛ " إلا أنَّه نازع بالثِّقة إلى قرائه، محفوف بالرويات من أمامه و ورائه و لعلَّ كثيراً منه مُساوٍ في الفصاحة للمجتمع عليه " [1] ؛ بمعنى أنَّ هناك من القراءات التي عُدَّت شاذَّة عند ابن مُجاهد لها ما يوافقها في كلام العرب الفصيح ؛ بمعنى أنَّه لا يجب ترك تلك الوُجوه اللغويَّة مادامت لديها ما يُبررها و يثبت حجيتها ؛ لأنَّ شأنها شأنَ ما احتوته لغات القراءات السَّبعة نقلها إلينا الثقات .

و لا شكَّ أنَّ هناك مجموعة من العوامل تكاتفت مع بعضها، جعلت ابن جني يُألفُ كتابه " المُحتسب " و سنأتي على ذكر أهمها في النقاط التالية:

1ـ الدفاع عن القراءات الشاذَّة و إثبات صحَّتها من جهة العربية، ورد كل سهام النقد التي وُجّهت إليها من كبار العلماء كأبي حاتم السجستاني(ت 248 هـ) وابن مُجاهد(ت 324 هـ) و أبي جعفر النَّحاس (ت 338 هـ)[2]، يقول ابن جني في مقدمة المُحتسب:" لكن غرضنا منه أنْ نُري وجه قوة هذا المُسمَّى الآن شاذًّ، و أنَّه ضاربٌ في صحَّة الرواية بِجِرانِه آخذ من سَمْت العربية مهلة ميدانه، لئلاَّ يُرَى أنَّ العُدول عنه إنَّما هو غضٌّ منه، أو تُهمة له " [3]

[1] . المُحتسب ابن جني، ص 1/ 32 .

[2] . ينظر : القراءات الشاذة و توجيهها النحوي ، محمود أحمد الصغير، ص202 .

[3] . المُحترسب، ابن جني، ص 1/ 32 ، 33 .

و معنى هذا أنَّ دفاع ابن جني على القراءات الشاذَّة لغويّاً هو في ذاته حماية للغات العرب و سننها في الكلام، و صون لها من التضعيف، و من ثَمَّ الانقراض.

2ـ تحسين الظن بأئمة القراءة : و حسن الظن هذا لمسناه عند أبي الفتح ابن جني في عدَّة مواضع في كتابه [1]، و مثاله في قراءة الحسن، و ابن أبي إسحاق: (و يَهْلِكَ الحَرْثُ و النَّسْلُ) ذكر ابن جني تغليط ابن مُجاهد هذه القراءة، و وجَّهها، ثم أردف قائلا:" و بعد فإذا كان الحسن و ابن أبي إسحاق إمامين في الثقة و اللغة، فلا وجه لدفع ما قرآ به . [2] فهذا قول صريح يُبين مدى حسن ظن ابن جني بالقُرَّاء، و الرُّواة على حدٍّ سواء .

3ـ تحقيق رغبة أستاذه الفارسي الذي كان يَهُمُّ بتصنيف مُؤلَّفٍ في القراءات الشاذة بعد أنْ أَلَّفَ " الحجة " لكن إرادة الله شاءت غير ذلك، يقول في ذلك ابن جني:" فاعترضت خوالج هذا الدَّهر دونه، و حالت كبوته بينه و بينه " [3] و كأنَّ ابن جني بصنيعه هذا يكون قد أتمَّ مشروعه أستاذه الذي نوى أنْ ينجزه قبل وفاته، " فالهمُّ و القصد كانا للشيخ الأستاذ و العمل و العزم كانا للتلميذ . فرحم الله مَنْ هَمَّ و قصد، و مَنْ عزم و عمل " [4] فهما في الأجر سواء .

4ـ الحاجة الماسَّة لوجود كتب تبيين وُجوه شواذ القراءات؛ لأنَّه في تاريخ القراءات الممتد طيلة أربع قرون لم يُصنف أحد في هذا الفن، يقول في المقدمة :" لم يضعوا للحجاج كتابا فيه، و لا أولوه طرفا من القول عليه، و إنَّما ذكروه مرويًّا مُسلَّماً مجموعاً أو متُفرّقاً، و ربما اعتزموا الحرف منه، فقالوا القول المُقنع فيه . فأمَّا أنْ يُفردوا له كتاباً مقصوراً عليه، أو

---

[1] . ينظر : القراءات الشاذَّة ضوابطها و الاحتجاج بها في الفقه و العربية ، عبد العالي المَسئُول ، دار ابن عفان ، القاهرة . مصر ، ط 1 ، 2007 م ، ص 163 .

[2] . ينظر : المُحتسب، ابن جنّي، ص 1/ 121 .

[3] . المحتسب، ابن جنّي، ، ص 1/ 34 .

[4] . القراءات الشاذَّة ضوابطها و الاحتجاج بها في الفقه و العربية ، عبد العالي المَسئُول ، ص 170 .

يَتجرَّدوا للانتصار له، و يُوضحوا أسراره و علله، فلا نعلمه " [1] نستنتج من كلام ابن جني أنَّ الدافع لتأليفه لكتاب " المُحتسب" هو الضرورة العلمية المنهجية، و ليس مُجرَّد استعراض، أو تباهي من ابن جني بمعارفه اللغوية .

5 ـ ازدهار العصر الرابع بمختلف العلوم، و المعارف الدينيَّة و العقليَّة(فلسفة، ومنطق). إضافة إلى القدرات الخاصة التي تميَّز بها ابن جني من ذكاء و فطنة، و تمكنه الكبير من اللغة العربية و علومها (نحو، و صرف، و لهجات و غيرها) [2] . كل تلك الأسباب اتَّحدت مع بعضها لتنتج لنا أوَّل مُؤَلَّف مُستقل لتوجيه القراءات الشَّاذَّة .

منهج ابن جني في " المُحتسب " :

قبل بدء الحديث عن المنهج، تجدر الإشارة إلى أنَّ ابن جني كغيره من اللغويين، و النُّحاة يُسلمُ بأنَّ القراءة سُنَّة متبعة يأخذها الأول عن الآخر دُون اجتهاد، أو نقاش لمحتواها ما دام سندها موصول للنبي ـ صلى الله عليه و سلم ـ لهذا اعتمد على كتابات ابن مُجاهد كونها مُستوفية لشرطي السند، و الرسم . و لم يتبقَّ له سوى دراستها من ناحية اللغة؛ أي مُحاولة إثبات صحتها، و توجيهها لتكون مُوافقة للغة من لغات العرب .[3]

إنَّ أهم فكرة أراد ابن جني أنْ يُثبتها في كتابه اختصرها في قوله:" ليس ينبغي أنْ يُطلق على شيء له وجه من العربية قائم و إنْ كان غيره أقوى منه غلط " [4] ؛ أي أنَّ وُجود تفاضل بين لغات العرب، كون الواحدة تُستعمل أكثر من غيرها، فهذا لا يُبيح لنا وصف الثانية الأقل استعمالا بالشُّذوذ، أو الضعف، أو الغلط، أو أيًّا يكن الوصف . و قد خصَّص لهذا الموضوع بابا في كتابه الخصائص بعنوان "باب اختلاف لغات العرب و كلُّها حُجَّة "

[1] . المحتسب، ابن جني، ص 33 ، 34 .

[2] . ينظر : القراءات الشاذة و توجيهها النحوي، محمود أحمد الصغير، ص202 .

[3] . ينظر : المحتسب، ابن جنّي، ص 1/ 35 .

[4] . المصدر نفسه : ص 236 .

قال فيه:" اعلم أنَّ سعة القياس تُبيحُ لهم ذلك، و لا تحظره عليهم ... و ليس لك أنْ تردَّ إحدى اللغتين بصاحبتها؛ لأنها ليست أحقَّ بذلك من رَسِيلتها. لكن غاية مَا لك في ذلك أنْ تتخيَّر إحداهما، فتقويها على أختها، و تعتقد أنَّ أقوى القياسين أقبلُ لها، و أشدّ أُنسًا بها. فأمَّا ردُّ إحداهما بالأخرى فلا" [1] و مختصر القول من كلام ابن جني إنَّ كل ما نطقت به العرب حُجَّة سواءٌ أكان ذلك فصيحا أو، أفصح، و بغض النظر عن عدد مستعمليه قليلا كان أم كثيرا .

انتهج ابن جني في كتابه " المُحتسب " نهج شيخه الفارسي في " الحجَّة " فهو "يعرض القراءات مُرتَّبة حسب موقعها في كل سورة، ثم يذكر أسماء القُرَّاء كُثُراً كانوا أم قلَّة، ثم يذكر القراءة "[2] ، و مثال ذلك قوله :" ومن ذلك : قراءة الحسن(ت 110 هـ) و أبي رجاء (ت 105 هـ) و قتادة(ت 117 هـ) و سلام (ت 171 هـ)، و يعقوب (ت 205 هـ) و عبد الله بن يزيد (ت 213 هـ) و الأعمش (ت 148 هـ) والهمذاني (ت 156 هـ)"[3] و عناية ابن جني بذكر القُرَّاء يدلُّ على أمانة ابن جني العلميَّة، و سعة علمه في هذا الفن. و ما يُلاحظ على عمل ابن جني أنَّه نادرا ما يُغفل اسم من أسماء القراء إلا إذا لم يكن له علم به . و دأب ابن جني على ترتيب أسماء القرَّاء على حسب تاريخ وفاتهم؛ إلا ما ندر كما هو الحال في المثال السابق إذ تقدَّم ذكر الحسن البصري مع أنَّ أبا رجاء كان أسبق منه. و كذلك يُقسِّمهم على حسب موطنهم فيُقدِّم البصريين على الكوفيين كما جاء في المثال الماضي، فقد أَخَّر الأعمش و عيسى بن عمر الهمذاني لأنهما كوفيين، و قدَّم البقية عليهم لكونهم بصريين .[4] و الأكثر من ذلك " أبو الفتح كان دقيقاً في تحديد عباراته القرائيَّة، فهذه

[1] . الخصائص ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تح محمد علي النجار ، المكتبة العلميَّة ، القاهرة . مصر ، د ط ، 1952 م ص 2/ 10 .

[2] . القراءات الشاذة و توجيهها النحوي ، محمود أحمد الصغير، ص 203 .

[3] . المحتسب ابن جني، ص 1/ 227 .

[4] . ينظر : القراءات الشاذة و توجيهها النحوي ، محمود أحمد الصغير، ص 203 .

قراءة، و تلك رواية، و هذه قراءة مُتَّفق على نسبتها إلى فلان، و تلك مُختلفٌ في نسبتها إليه"[1] و هذه قمّة الدِّقة و العلمية في المنهج.

و بعد أنْ يذكر القراءة و مَنْ قَرأَ بها، " يرجع في أمرها إلى اللغة، يلتمس لها شاهدًا فيرويه أو نظيرًا فيقيسها عليه، أو لهجة فيردُّها إليها و يؤنسها بها، أو تأويلاً أو توجيهاً فيعرضه في قصدٍ و إجمالٍ، أو تفصيلٍ و افتتانٍ على حسب ما يقتضيه المقام " [2] و معنى ذلك أنَّ ابن جني لم يدخر جهدا و لو قليلا في الاحتجاج للقراءات الشاذة؛ فهو إمَّا يأتي بشاهد من القرآن، أو الحديث النبوي، أو من كلام العرب يُدلِّل به على صحة القراءة. أو يُقارن بين القراءة و نظيرها من مصدر من مصادر الاحتجاج المعروفة؛ فيُثبت عن طريق القياس صحة ذلك المُختلف فيه. أو يستعين بلهجة من لهجات القبائل العربية لتعليل وجه القراءة. " و إنْ هو لم يجدْ للقراءة وجهاً يسكن إليه، إمَّا لشذوذ في اللغة، و إمَّا لحاجته في الاحتجاج إلى ضربٍ من التكلُّف و الاعتساف، لم يتحرج أنْ يردَّها أو يضعف القراءة بها " [3] ؛ و هذا دليل على تجرد ابن جني من أيِّ عواطف، أو أهواء للجنس العربيّ، و اللغة العربيَّة رغم حُبِّه الشديد لها، و هو من نذر كل حياته لخدمتها و الدفاع عنها و حمايتها من كيد الحاقدين بالعقل و المنطق؛ و مُصنَّفاته شاهدة على ذلك بدءاً بالمُحتسب و ليس انتهاءً بالخصائص .

و رغم الموضوعيَّة التي اكْتست كتاب " المُحتسب " إلا أنَّه لم يخل من بعض التَّساهل و التَّكلف في الاحتجاج لبعض القراءات، قال أبو حيَّان الأندلسي عن أحد تخريجات ابن جني للقراءة:" و هذا التَّوجيه في قراءة التَّشديد في غاية البُعد و يُنزَّه كلام العرب أنْ يأتي

[1] . المصدر السابق، ص 203 .

[2] . ينظر: مقدمة تحقيق كتاب المُحتسب ابن جني، ص 1/ 18 .

[3] . الصدر نفسه : ص 12/1 .

بمثله فكيف كلام الله تعالى، و كان ابن جني كثير التَّمحل في كلام العرب " [1] ، و هذا يدلُّ على الحرص الشديد لابن جني، و سعيه لإيجاد تخريجات للقراءات الشّاذَّة، لأنَّه يؤمن أنَّ أغلبها من كلام العرب مادام مَنْ نقلها إلينا مِنهم، و هذا من باب حُسن الظن بالقُرَّاء.

مصادر الاحتجاج عند ابن جني في كتابه " المُحتسب " :

تعدَّدت المشارب التي نهل منها ابن جني في توجيهه للقراءات الشاذَّة، و لكن يُمكن تقسيمها إلى صنفين:

أ. كُتب مُحدَّدة، ذكرها في مقدمة الكتاب بعناوينها، و أسماء أصحابها، هي : شواذ القراءات لابن مُجاهد (ت 324 هـ)، كتاب أبي حاتم السَّجستاني (ت 316 هـ)، كتاب قُطرب محمد بن المُستنير(ت 206 هـ)، كتاب المعاني للزَّجاج (ت 311 هـ) ، كتاب المعاني للفرَّاء (ت 207 هـ) .[2]

ب ـ مصادر أخرى ، و تمثَّلت في الروايات التي تلقَّاها، أو نقلها عن غيره من القُرَّاء و النحاة ، يقول في ذلك :" و نحن نورد ذلك، على ما رويناه، ثُمَّ ما صحَّ عندنا من طريق رواية غيرنا له"[3] ، و يمكن أنْ نُطلق على النَّوع الأول: المصادر المكتوبة، و النوع الثاني بالمصادر المسموعة أو السماعيَّة؛ لأنَّ أغلبها تلقَّاه عن طريق الرواية التي تعتمد اعتمادا كبيرا على النقل بالمشافهة .

نستنتج من كل ما قِيلَ سابقا إنَّ كتاب المحتسب " يزخر بكثيرٍ من الشواهد و التوجيهات و ألوان مِن الآراء و البحوث اللغوية و الصَّوتية التي تدلُّ على الغزارة و التَّمكن، و على

---

[1] . تفسير البحر المُحيط ، أبو حيَّان الأندلسي ، تح : عادل أحمد عبد الموجود و آخرون ، دار الكتب العلمية ، دار الكتب العلميَّة ، بيروت . لبنان ، ط 1 ، 1993 م ، ج 2 ، ص 535 .

[2] . ينظر : مقدمة تحقيق كتاب المُحتسب ابن جنّي، ص 1/ 35 . 36 .

[3] . المصدر نفسه : ص1/ 35 .

شمول الإحاطة ودقَّة المُلاحظة، و براعة القياس، و صحَّة الاستنباط " [1] ؛ أي أنَّه موسوعة معرفية تحتوى على الكثير من المعارف الصَّوتيَّة، و النَّحوية، و الصَّرفية، و المعجميَّة. إضافة إلى تنوع لغوي، و لهجي يندر أنْ يوجد في مُؤَلَّفٍ آخر؛ بعبارة أخرى فإنَّ الكتاب تميَّز ببساطة في توجيه القراءات الشاذَّة، و كثرة في الوُجوه النَّحوية، و عقد أواصر بين القراءات، و استعارة لمذاهب النُّحاة و استعانة بآرائهم، و مناقشتها، و امتداد في تحوير الوُجوه النحوية، و منطق يسود الاحتجاج، و دقَّة في الأحكام، و تحرير و تعليل لها و توحيد بين النَّحو و المعنى، و استطراد مُحَبَّب، و تمَحُّل في توجيه بعض القراءات " [2] كل هذه الخصائص، و السِّمات المُميِّزة جعلت مِن " المُحتسب " جوهرة نادرة قلَّ نظيرها و كَثُرَ طَالبُوها، و مُقلدُوها، و شارحوها.

أثر كتاب " المُحتسب " في مسار الدراسات اللغويَّة و فن الاحتجاج للقراءات بعده :

لقد سبق القول إنَّ كتاب ابن جني غني بأنواع المعارف، و العلوم اللغوية، و الدِّينية لهذا لا عجب أنْ يتسابق العلماء بعده في الأخذ منه كلٌّ بما يريده، و يحتاجه؛ ليروي ظمأه.
و يمكن حصر المُهتمين بالكتاب في مجالين كبيرين:

مجال اللغة و النحو: و تعود عناية العلماء به لاحتوائه على كثيرٍ من الآراء، و المفاهيم و التوجيهات النحوية " فقد تناقل عددٌ مِن النُّحاة و المُفسرين آراءه بكثير مِن الإجلال و كانوا ينصُّونَ في الغالب على اقتباساتهم منه، و يُسمُّون صاحب الكتاب. فقد نقل عنه الزَّمخشري (ت 538 هـ) في " كشَّافه " و الباقولي (ت 543 هـ) في كتابه " إعراب القرآن " ، و أبو البقاء العكبري (ت 616 هـ) في كتابه " التِّبيان في إعراب القرآن " و القرطبي (ت 671 هـ) في تفسيره المعروف " الجامع لأحكام القرآن " و ابن هشام

[1] . المصدر نفسه : ص 1/ 13 .

[2] . القراءات الشاذة و توجيهها النحوي، محمود أحمد الصغير ، ص 275 .

الأنصاري (ت 761 هـ) في كتابه " مغني اللبيب عن كتب الأعاريب " [1] و هذه النماذج المذكورة هي قطرٌ مِن فيض عمَّن نهل مِن النُّحاة، و المُفسرين مِن كتاب المُحتسب و تشارك أفكار ابن جني اللُّغوية على جميع المستويات: الصَّوتية، و الصَّرفية و النَّحويَّة، و المُعجميَّة؛ من أجل الاحتجاج بها في كُتُب النَّحو، أو من أجل التفاسير اللغوية للقرآن التي تعتمد اعتماداً كبيراً على هذا النوع مِن المصادر فيما يخص المُفسرين.

مجال الاحتجاج للقراءات الشَّاذة:

يرجع اعتماد كل مَنْ أتى بعد ابن جني على " المُحتسب " كونه أوَّل مُؤَلَّفٍ في الاحتجاج للشواذ؛ فهو صاحب السَّبق في هذا الباب. و عليه يُمكن القول أنَّ كلَّ مَنْ أتى بعده تأثَّر بكتابه، و منهج تأليفه؛ لذلك طفق العلماء يُألِّفون في الاحتجاج للقراءات الشَّاذة نذكر على سبيل المثال لا الحصر صنيع أبي البقاء العكبري (ت 616 هـ) صاحب كتاب " المُنتخب مِن كتاب المُحتسب " و هو عبارة عن اختصار لكتاب ابن جني، و كذلك كتابه " إعراب القراءات الشاذَّة " الذي حاول فيه مُجاراة كتاب المُحتسب في التأليف، و رغم الحجم الكبير للكتاب، إلا أنَّه لم يرق لعمل ابن جني في القيمة العليمة.[2]

و أخيرا و ليس أخراً، نستطيع القول أنَّ عمل ابن جني في الاحتجاج لشواذ القراءات كان له فائق الأثر في إعادة الاعتبار لها لغويا؛ إذ يُعتبر فضله فيها على غيره مِن العلماء، كفضل الشمس على سائر الكواكب كما فَّصلنا الحديث عنه سابقا . إضافة إلى أنَّه" كان لكتابه بعض الأثر في عودة ثلاث قراءات شاذة إلى مراتب الصَّحيح المشهور، و هي قراءات أبي جعفر المدني (ت 130 هـ)، و يعقوب الحضرمي (ت 205 هـ) ، و خلف بن هشام (ت 229 هـ)" [3].

---

[1] . المصدر السابق : ص 281 . 282 .

[2] . ينظر، القراءات الشاذة و توجيهها النَّحوي ، محمود أحمد الصغير، ص 281 .

[3] . المصدر نفسه : ص 281 .

خاتمة

الخاتمة:

لقد وصل البحث ـ بحمد الله و توفيقه ـ إلى خاتمته، أين تناولنا فيه الاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع، و هذا مُجمل ما أردنا طرحه حول الموضوع و يُمكن حوصلة النتائج المُتوصل إليها فيما يأتي:

1ـ القراءات القرآنية وحي مُنزَّل مِن الله تعالى على الأمَّة المُحمَّديَّة، بواسطة أمين الوحي جبريل ـ عليه السَّلام ـ على فؤاد النَّبي الأمِّي مُحمَّد ـ صلى الله عليه و سلم ـ تخفيفاً، و درءاً للحرج عليها. و أرجح الأقوال أنَّ بداية نزولها كانت بمكة؛ أي منذ بداية الدَّعوة.

2ـ القرآن و القراءات المُتواترة حقيقة واحدة مِن جهة كونهما وحيا من عند الله، و هما حقيقتان مُتغايرتان من جهة كون القرآن أعمُّ من القراءات، و القراءات القرآنية المُتواترة جزء مِن القرآن.

3ـ لم تخرج طُرق التأليف في القراءات على ثلاثِ أنحاء: فهي إمَّا في شكل كُتب مُفردة لقراءة إمامٍ مِن الأئمَّةِ كصنيع محمد بن أبي نصر الكرماني (ت 563 هـ) في كتابه " قراءة الكسائي رواية أبي عمر الدوري عن طريق ابن مِقسم "، و إمَّا كُتب جامعة لقارئين أو أكثر، كما فعل أبو بكر بن مُجاهد (ت 324 هـ) في كتابه " السَّبعة في القراءات " و إمَّا في صورة كُتب توجيه للقراءات و الاحتجاج لها، كما فعل ابن جني (ت 392 هـ) في مُؤلَّفه " المُحتَسب " .

4ـ الاحتجاج في أبسط تعريفاته هو تعليل وجه قراءة ما، باعتماد أحدِ المصادر المعروفة مِن نقل، و قياس، و إجماع، و استصحاب حال.

5ـ مرَّ فن الاحتجاج للقراءات القرآنية بمراحلٍ ثلاثٍ: مرحلة التعليل الشفاهي، ثم مرحلة تدوين بعض شواهد هذا الفن في كُتب المعاني، و أخيرا استقلال فن الاحتجاج في مُؤلَّفات خاصة به؛ وذلك بعد تسبيع ابن مُجاهد للقراءات.

6. كان لعناية الصَّحابة بالقرآن ـ بصفة عامة ـ و عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بصفة خاصة بالغ الأثر في حماية القراءات، و حفظها مِن اللَّحن، والخطأ، و خاصة بعد جمع القرآن في مُصحف واحد، أصبح يُعرفُ فيما بعد بالمصحف العُثماني. إضافة إلى حرصه على تدوين ما اختُلف فيه بلغة قريش. فهو مِن خلال هذين القرارين يكون قد وضع ـ و لو بشكل غير مُباشر ـ شروط القراءة الصَّحيحة التي استنبطها العلماء مِن بعده. و بالتالي يُمكن القول إنَّ عمل عثمان بن عفَّان ـ رضي الله عنه ـ هو أوَّل مرحلة مِن مراحل الاحتجاج بمفهومه الحقيقي.

7. يذهب أغلب العلماء أنَّ نزول القرآن بلغة قريش هو رأي تغليبي؛ لأنَّ القرآن احتوى على أكثر لهجات العرب، و لكن لهجة قريش كانت هي السَّائدة.

8. بعد مشروع عثمان بن عفان في جمع القرآن، ظهر ما اصطُلِح عليه باللَّحن في القراءة و هو مُخالفة خط المُصحف العُثماني، أو القراءة بوجه غير مشهور في اللغة العربية.

9. توجيه النُّحاة، و اللغويين للقراءات زاد في تأزم وضعيَّة القراءات؛ لكونهم يصفون كل ما خالف مذهبهم النَّحوي بالشذوذ دُون مُراعاة معيار القُرَّاء؛ و يعود ذلك لاختلاف منهج و غاية كل فريق.

10. في ظل الفوضى، و اللامنهجية التي شهدتها القراءات، جاء ابن مُجاهد (ت 324 هـ) و سبَّع القراءات في كتابه " السَّبعة في القراءات "، حيث اختار سبعة قُرَّاء مِن مُختلف الأمصار، ممَّن عُرفوا بالأمانة و الثقة و الإتقان لعلم القراءات، و النَّحو، و سنن العرب في كلامها. و القراء الذين اختارهم، هم: عبد الله بن عام الشامي(ت 118 هـ)، و ابن كثير المكي (ت 120 هـ)، و عاصم الكوفي (ت 127 هـ)، و أبو عمرو بن العلاء البصري (ت 154 هـ) ، و حمزة الكوفي (ت 156 هـ) ، و نافع المدني (ت 169 هـ) و الكسائي الكوفي (ت 189 هـ) .

11. و لا يشك اثنان أنَّ ما قام به ابن مُجاهد من تسبيع للقراءات حلَّ مشكلتها مِن جهة لكنَّه زاد الطين بلة مِن جهة أخرى؛ لأنَّ الفهم السَّطحي للعامة لعمل ابن مُجاهد جعلهم يظنُّون أنَّ ما وراء السَّبعة شاذ، لا تجوز القراءة به.

12. اختيار بن مُجاهد لراويين اثنين لكل قارئ، أوقعه في التناقض؛ لأنَّ الرواة الذين تلقَّوا القراءة مِن نفس المصدر كثرا، فكيف له أنْ يُجيز بقراءة راويين، و يعتبر قراءات التلاميذ الآخرين شاذة ؟

13. بعد صنيع ابن مُجاهد و تسبيعه للقراءات، قام أبو علي الفارسي بالاحتجاج للقراءات التي انتقاها ابن مُجاهد لغويًا و بيَّن صِحَّة كل وجه فيها، و ذلك في كتابه " الحُجَّة للقراء السَّبعة ".

14. يُمكن القول إنَّ ما قام به ابن مُجاهد و الفارسي يشكِّل المرحلة الثانية في الاحتجاج للقراءات؛ فعمل الأول شكَّل مُنعطفا مِن خلال شُروط القراءة التي استُنتجت مِن عمله (صحَّة السند، و مُوافقة رسم المصحف، و موافقة اللغة العربية و لو بوجه). و أمَّا الثاني فباحتجاجه للسَّبعة يكون قد أنهى ما بدأه ابن مجاهد، و فَتحَ باب العمل على الاحتجاج للقراءات الشاذة لغيره.

15. بداية الاشتغال بالقراءات الشاذة هو المرحلة الثالثة مِن مراحل الاحتجاج، حيث تصدَّى أبو الفتح ابن جني لهذا العمل في كتابه " المُحتسب في تبيين شواذ القراءات و الإيضاح عنها " ، فقام بإعادة دراسة ما شذَّذه ابن مجاهد، و الاحتجاج له في ركن اللغة لا غير. و كان لعمله الفضل في إعادة تصحيح مسار ثلاث قراءات جديدة، وهي قراءات: أبي جعفر المدني (ت 130 هـ)، و يعقوب الحضرمي (ت 205 هـ) ، و خلف بن هشام (ت 229 هـ)".

التوصيَّات:

و قبل طيِّ آخر صفحة في البحث، ارتأينا تسجيل بعض التوصيات علَّها تجد آذانا صاغية لخدمة الموضوع:

1. نوصي بإعادة وضع دراسة مُوسَّعة لموضوع الاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنية و تخصيص بحث مستقلٍّ لكلِّ قرن على حده،لأنَّ الموضوع مازال يحتاج لمزيد مِن الجهد و البحث.

2. مواصلة البحث في الموضوع لما بعد القرون الأربعة الأولى، لاستكشاف جهود علماء آخرين، و ربما وضع تقسيمات جديدة في تاريخ الاحتجاج اللغوي للقراءات القرآنية.

و في الختام نحمد الله على توفيقه لنا في إتمام هذا البحث، سائلين إيَّاه أنْ ينفعنا به و جميع المسلمين، و صلى الله على نبينا محمد، و على آله الأطهار الميامين. و آخر دعوانا أنِ الحمد لله ربِّ العالمين.

قائمة المصادر
و
المراجع

قائمة المصادرو المراجع

القرآن الكريم: رواية حفص عن عاصم

كتب القراءات :

1. الإبانة عن معاني القراءات ، مكي بن أبي طالب القيسي ، تح : عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار النهضة للطبع و النشر ، القاهرة . مصر، د ط ، 1960.
2. إتحاف فضلاء البشر في القراءات الأربعة عشر، عبد الغني الدمياطي، وضع حواشيه أنس مهرة ، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، طَ1 ، 1997.
3. جامع البيان في القراءات العشرة ، عثمان بن سعيد الداني، تحقيق محمد صدوق الجزائري، دار الكتب العلمية بيروت . لبنان، ط1، 2005 .
4. جمال القُراء و كمال الإقراء ، علم الدين السَّخاوي علي بن محمد ، تح : علي حسين البَواب ، مكتبة التراث ، مكة المكرمة . المملكة العربية السعودية ، ط 1 1987، ج2.
5. الحُجَّة للقراء السبعة ، أبو علي الحسن بن عبد الغفَّار الفارسي ، تح : بدر الدين قهوجي و بشر حويجاني، دار المأمون للتراث، دمشق . سوريا ، ط 1 ، 1984 م ج 1.
6. علم القراءات ، نبيل بن محمد إبراهيم آل إسماعيل ، مكتبة التوبة ، الرياض . المملكة العربية السعودية ، ط 1 ، 2000 م .
7. في علوم القراءات . مدخل و دراسة و تحقيق ، رزق الطويل ، مكتبة الفصليَّة مكة المكرمة . المملكة العربية السعودية، ط 1 ، 1985 م .
8. القراءات الشاذَّة ضوابطها و الاحتجاج بها في الفقه و العربية، عبد العالي المَسئُول، دار ابن عفان، القاهرة . مصر، ط 1، 2007 م .

9. القراءات الشاذة و توجيهها النحوي، محمود أحمد الصغير، دار الفكر، دمشق . سوريا، ط 1 ، 1999 م .
10. القراءات القرآنية تاريخ و تعريف ، عبد الهادي الفضلي ، مركز الغدير ، بيروت . لبنان ، ط 4 ، 2009 م .
11. القراءات وأثرها في علوم العربية، محمد سالم محيسن، مكتبة الكليات الأزهرية المدينة المنورة . المملكة العربية السعودية ، دط، 1984، ج1 .
12. الكامل في القراءات السبع : أبو عبد الله محمد بن شريح الرّعيني الأندلسي ، تح: أحمد محمود عبد السميع الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان ، ط1 2000م .
13. كتاب السبعة في القراءات، أبو بكر بن مجاهد، تح : شوقي ضيف، دار المعارف القاهرة . مصر، دط، 1972.
14. المُحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات و الإيضاح عنها ، أبو الفتح عثمان بن جني ، تح : عبد الفتاح شلبي و آخرون ، دار سركين للطباعة و النشر ط2 1986.
15. مقدمات في علم القراءات، محمد أحمد مفلح القضاة و أحمد خالد شكري وآخرون، دار عمار، عمان ـ الأردن ، ط 1، 2000 م.
16. النشر في القراءات العشر : أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي ، تصحيح : علي محمد الضباع ، دار الكتب العلمية ، بيروت . لبنان، د ط ، د ت.

المعاجم

1. تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، تح : محمد محمد تامر ، دار الحديث القاهرة . مصر ، دط ، 2009 م.

2. لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي، دار صادر بيروت، لبنان مجلد 13. دت، دط.
3. معجم الأدباء، ياقوت الحموي الرومي، تحقيق إحسان عباس، دار الغريب الإسلامي للنشر ببيروت ـ لبنان ، ط1، 1993، ج 2 .
4. معجم القراءات القرآنية ، أحمد مُختار عمر و عبد العال سالم مكرم ، مطبوعات جامعة الكويت ، الكويت ، ط 2 ، 1988 م ، ج 1 .
5. المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، مكتبة الشروق الدولية ، القاهرة ـ مصر، ط 4 2004م .
6. معجم علوم القرآن ، إبراهيم محمد الجرمي ، دار القلم دمشق ، ط1 ، 2001.
7. مقاييس اللغة ، ابن فارس ، تح : عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، القاهرة ـ مصر، ط2 ، ج5 1979 م.
8. منجد المقرئين و مرشد الطالبين ، محمد بن محمد بن الجزري ، وضع حواشيه : محمد عمرات ، منشورات دار الكتب العلمية ، ط1 ، 1999.

كتب التراجم الطبقات:

1. أنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين بن يوسف القفطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي بالقاهرة ـ مصر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت لبنان، ط1، 1986، ج 1.
2. بغية الوعاء في طبقات اللغويين و النحاة، جلال الدين السيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي و شركائه، ط1، 1964، ص ج1.
3. تاريخ مدينة السلام، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي للنشر ببيروت ـ لبنان ، ط1، 2001، ج7 .

4. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله بن عثمان بن قايماز الذهبي،تحقيق حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، دط، 2004، ج1.
5. غاية النهاية في طبقات القراء، شمس الدين علي بن الجزري، ت ح: برجستراسر دار الكتب العلمية ببيروت . لبنان، ط1، 2006، ج1 .
6. معرفة القرّاء الكبار على الطبقات و الأعصار، أبو عبد الله بن عثمان بن قايماز الذهبي، بشار عوّاد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر ببيروت . لبنان، ط2، 1988.
7. نزهة الألباب في طبقات الأدباء، كمال الدين أبو البركات بن الأنباري، تحقيق إبراهيم السمرائي، مكتبة المنارة . الأردن، ط3 ،1985.
8. وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان، شمس الدين بن محمد بن خلكان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر بيروت ـ لبنان، دط، 1978.

مصادر و مراجع مختلفة:

1. الإتقان قي علوم القرآن : جلال الدين السيوطي، تح : مركز الدراسات القرآنية مجمع الملك فهد ، المدينة المنورة . المملكة العربية السعودية ، ج 2 ، د ت.
2. إعراب القرآن، الزجاج (منسوب إليه) ، تحقيق ابراهيم الأبيارى، دار الكتب الإسلامية و آخرون ، ط 2، 1982 م، القسم 2 .
3. البحر المحيط، ابن حيان الأندلسي، دار الفكر للطباعة بيروت . لبنان، ط 1 2010 ، ج5 .
4. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث، القاهرة . مصر، دط ، 1957 م، النوع الرابع عشر.

5. البيان و التبيين، أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون مكتبة الخانجي بالقاهرة ـ مصر، ط7، 1997.
6. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تح :محمد علي النجار، المكتبة العلميَّة القاهرة ـ مصر، دط ، 1952 م، ج 2 .
7. الصاحبي في فقه اللغة، أبو الحسن أحمد بن فارس، تعليق أحمد حسن ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ، 1997 ، ط1.
8. صحيح البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، اعتنى به : أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية للنشر، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ، د ط 1998 م .
9. صحيح مسلم، أبو الحسين بن الحجاج القشيري النيسابوري، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار طيبة، الرياض ـ المملكة العربية السعودية ، ط 1، 2006 م.
10. فضائل القرآن : أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير، تح : أبو إسحق الحويني الأثري، مكتبة ابن تيمية، القاهرة ـ مصر، ط1، 1995 م .
11. كتاب المصاحف: أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث السجستاني، تح: أبو أسامة سليم بن عيد الهلالي ، غراس للنشر و التوزيع ، عمان ـالأردن ،ط 1 2006 م.
12. اللغات في القرآن: أخبر عنه إسماعيل بن المقرئ عن عبد الله بن الحسين بن حسنون المقرئ بإسناده إلى ابن عباس تحق : صلاح الدين المنجد، مطبعة الرسالة القاهرة ـ مصر ، ط1، 1946.
13. المحكم في نقط المصحف، أبو بن عثمان سعيد الداني، تح : عزة حسن، دار الفكر بدمشق ـ سوريا ، ط2 ، 1997.

14. المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبي شامة المقدسي، علق عليه: إبراهيم شمس الدين دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط 1، 2003 م.
15. المزهر في علوم اللغة و أنواعها ، جلال الدين السيوطي، شرح و تعليق محمد أحمد جاد بك و آخرون، منشورات المكتبة العصرية صيدا ـ بيروت، ب ط،1986، ج2.
16. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري تح : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت . لبنان، ط 2، 2002 كتاب التفسير.
17. المقنع في رسم مصاحف الأمصار: أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، تح : محمد الصادق قمحاوي ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة . مصر د ط ، 1978 .

مصادر و مراجع مختلفة:

1. أبو علي الفارسي، عبد الفتاح إسماعيل شلبي، دار المطبوعات الحديثة، جدة . المملكة العربية السعودية، ط 3، 1989
2. إعجاز القرآن و البلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي بيروت . لبنان ط9 ، 1973.
3. التاريخ الإسلامي . الخلفاء الراشدون : محمود شاكر ، المكتب الإسلامي ، بيروت . لبنان ، ، ط 8 ، 2000م ، ج 3.
4. التوجيه النحوي للشاذ في لغة القرآن الكريم (المتبوع منه و المدفوع) : نصر الدين وهابي ، سامي للطباعة و النشر و التوزيع الوادي . الجزائر ، ط1 ، 2016 ج1 .
5. ضحى الإسلام ، أحمد أمين الهيئة ، المصرية العامة للكتاب . مصر ، د ط 1998، ج 2 .
6. الفهرست، ابن النديم، دار المعارف بيروت ـ لبنان، د ط، د ت .

7. في أصول النحو ، سعيد الأفغاني، المكتب الإسلامي بيروت . لبنان، دط، 1987.
8. في اللهجات العربية : إبراهيم أنيس، نشر مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ، مطبعة أبناء وهبه حسان ، دط 2003.
9. قصة النقط و الشكل في المصحف الشريف ، عبد الحي الفراماوي ، دار النهضة العربية بالقاهرة ، دط ، 1978.
10. اللحن اللغوي و أثاره في الفقه و اللغة ، محمد عبد الله بن التمين ، دائرة الشؤون الإسلامية و العمل الخيري دبي . إدارة البحوث . الإمارات ، ط 1 ، 2008.
11. المتحف في أحكام المصحف ، صالح بن محمد الرشيد ، مؤسسة الريان بيروت . لبنان ، ط 1 ، 2003 م ، ج 2.
12. المدخل لدراسة القرآن الكريم ، محمد محمد أبو شهبة ، دار اللواء ، الرياض المملكة العربية السعودية ، ط 3 ، 1987م.
13. مدرسة الكوفة، مهدي المخزومي، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر، ط2 ، 1958.
14. من أسرار اللغة، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرة بالقاهرة . مصر ، ط3 1966.
15. مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني ، مطبعة عيسى البابي و شركاهُ ، القاهرة . مصر ، ط3 ، د ت ، ج 1.
16. مواقف النحاة من القراءات القرآنية حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، شعبان صلاح دار غريب للطابعة و التوزيع، دط،2005.
17. النحو و كتب التفسير ، إبراهيم عبد الله رفيْده ، الدار الجماهيرية ، بنغازي الجماهيرية الليبية ، ط 3 ، 1990 م .

المجلات والدوريات:

1. فن توجيه القراءات القرآنية ، فائز محمد الغرازي، مجلة الباحث الجامعي، ع 30 اليمن ، أبريل - يونيو 2013 .
2. القراءات القرآنية.إشكالية النقد . قراءة في كتاب السبعة لابن مُجاهد، محمد الحسين مليطان ، مجلة الساتل، مصراتة . ليبيا .
3. اللحن في اللغة العربية أسبابه و أثاره و مصنفاته ، عبد القادر زرق الرأس و محمد حاج هني ، اللحن ، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية ، كلية الآداب و اللغات ، العدد 19 ، الشلف . الجزائر ، جانفي 2018 .
4. النحويون و القراءات القرآنية، زهير غازي زاهد، مجلة آداب المستنصرية ، بغداد . العراق، العدد 15، 1987،

الرسائل العلمية:

1. آراء أبي علي الفارسي النحوية، كريمة بنت أحمد بن الطاهر البشير، و تطبيقها على كتاب الحجة للقراء السبعة ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير ، كلية اللغة العربية و آدابها ، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2013 م.
2. قضية اللحن في اللغة العربية حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، إشراقة نور الدين الصافي محمد : . رسالة ماجستير منشورة . جامعة الخرطوم ، 1997.
3. منهج الاحتجاج للقراءات القرآنية عند أبي علي الفارسي من خلال كتابه " الحجة للقرّاء السبعة"، عبد الرحمن معاشي، بحث مقدم لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، 2012.
4. قراءة في نحو القراءات من الفاتحة إلى الكهف . دراسة دلالية . حبيب بو سغادي رسالة دكتوراه ، جامعة وهران ، كلية الآداب واللغات الفنون، قسم اللغة العربية موسم 2012 - 2013.

الفهرس

• **مقدمة**	أ ـ هـ
• **تمهيد**	7
• تعريف القراءات	7
• نشأة علم القراءات	9
• فائدة علم القراءات	10
• علاقة القرآن بالقراءات	11
• طرق التأليف في علم القراءات	12
• مفهوم الاحتجاج و مصادره	14
• مراحل الاحتجاج	15
• **الفصل الأوّل : توجيه القراءة القرآنية قبل التسبيع**	
• **المبحث الأول : قبل ظهور اللحن**	
• جمع القرآن الكريم	18
• في عهد النبي صلى الله عليه وسلم	20
• في عهد أبو بكر الصديق	22
• منهج ابو بكر في الجمع	24
• جمع القران في عهد عثمان	26
• نزول القرآن بلغة قريش و حججه	31
• **المبحث الثّاني : فترة ظهور اللحن**	
• اللحن . مفهومه ، عند النحاة و القراء	35
• بداياته وأسبابه وبعض شواهده	37
• التدابير المتبعة للقضاء عليه	41
• القراءات و النحو قبل ق 4 هـ	45
• الخلاف المنهجي بين القراء و لنحاة	46

• **الفصل الثاني: الاحتجاج للقراءة بعد التسبيع**	
• **المبحث الأول: الاحتجاج للقراءة السّبعية**	
• **الاحتجاج للقراءة عند ابن مجاهد في كتابه " السبع في القراءات"**	51
• ترجمة ابن مجاهد	51
• دوافع تأليف كتابه	52
• القراء السبعة الذين اختارهم ابن مجاهد	54
• سبب اختيار أبي بكر بن مجاهد للسبعة دون غيرهم	56
• أثر تسبيع ابن مُجاهد في مسار الاحتجاج للقراءات القرآنية	60
• **الاحتجاج للقراءة عند أبي علي الفارسي في كتابه" حجة القراءات السبع"**	64
• ترجمة أبو علي الفارسي	64
• سبب تأليف الحجة	65
• موضوع الكتاب و منهجه	67
• أسلوب أبو علي الفارسي في كتبه	68
• القيمة العلمية للكتاب و أثره في مسار الاحتجاج للقراءات	70
• **المبحث الثاني: الاحتجاج للقراءة غير السبعية**	
• الاحتجاج للقراءة عند ابن جني في كتابه "المحتسب"	72
• ترجمة ابن جني	72
• تمظهر القراءات الشاذة قبل ابن جني :	73
• دوافع ابن جني للاحتجاج للقراءة الشاذَّة و التأليف فيها:	74
• منهجه في المحتسب	77
• مصادر الاحتجاج عند ابن جني في كتابه	80
• أثر كتاب المحتسب في مسار الدراسات اللغوية و الاحتجاج للقراءات	81

• مجال الاحتجاج للقراءات الشاذة	82
• **خاتمة**	84
• **قائمة المصادر والمراجع**	89
• **فهرس الموضوعات**	**98**